الإنسانية بين واقع عولمة صدام الهمجيات وآفاق التطلع إلى عالمية الحوار الحضاري الحي.

بقلم: أ.د منصور بن لرنب*.

« لن يكن هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان»

ـ العالم اللاهوتي الألماني هانزكونغ *Hans Kung*(1)

« لا بد لنا أن نؤكد أن الحوار هو من أجل الوصول إلى الحقيقة في العقل والقلب ... »

– العلامة السيد محمد حسين فضل الله(2) –

المقدمة:

أيّ حوار هذا الذي تريده إنسانية اليوم، حيث فقد فيها الإنسان إنسانيّة وفعله وتفاعله؟ وأيّ حوار هذا الذي يجرى في غياب كرامة البشر وعزتهم وسؤددهم؟ وكيف يمكن لنا أن نتأمل بتدبر، أو نتجادل بحكمة، في ظل أجواء الضجيج والضوضاء والتشنج والنزاع والخوف وأنواع سوء الفهم والأحكام المسبقة والمدمرة للرؤى الحضارية الحية والمجدية في آن واحد ؟ وكيف يمكن لذلك الإنسان الهلوع – الجهول الذي تشكّل عليه حتى فهم ذاته وجوانيته وعقده، أن يفهم الغير ويتحاور معهم، خاصة بعد أن أصبح

---

* أستاذ التعليم العالي بكلية العلوم السياسية والإعلام بجامعة الجزائر.

إنسان اليوم مجرد إنسان المظهر لا الجوهر ... إنسان المادة لا الروح ... إنسان الحوار التمييعي لا الحوار التربوي ... إنسان القول لا الفعل ...؟

وأيّ تفاهم هذا الذي يريده علماء العصر الحديث، هل التفاهم الظاهري والحوار التمييعي لترسيخ وفرض واقع عولمة الفساد والإستبداد وصدام الهمجيات بإسم علماونية المدينة المزيفة، أم هو ذلك الحوار التفاهمي الإنساني لكشف الحقيقة وتحصين الحوار الحضاري الحي والدعوة إلى كلمة السواء بيننا دون اختراق أو نفاق؟.

أيها الناس، أيّ حوار هذا الذي ينظم في دهاليز وكواليس المنظمات الرسمية وغير الرسمية في ظل التقتيل والتجويع والتجهيل والتكفير وفرض الأمر الواقع على أغلبية الشعوب المستضعفة ؟ وأيّ حوار هذا الذي يبرر الواقع المزري ولا يغيره ؟؟.

إن الإشكالية العلمية التي ننطلق منها في هذه الورقة الأكاديمية المتواضعة هي ما جدوى هذا الحوار الذي أصبح يتغنى به الكل في ظل إفلاس الحضارة الإنسانية المعاصرة؟ كيف يمكن لنا الخروج من هذه الدائرة المغلقة القائلة لتقديم البديل الحضاري الإنساني؟ ألا تعتبر المساهمة في هذه الحوارات التمييعية هي مؤامرة مكشوفة للقضاء نهائيا على إنسانية الإنسان، ومن ثم تمرير المشاريع غير الإنسانية، كما جرى الآن في فرض النظام العولمي الفاسد؟ وعليه إما الدعوة إلى حوار الأحرار الأخيار، وإما الدعوة إلى حوار الأشرار والذعار ...

كل المؤشرات العلمية والدراسات الأكاديمية الجادة التي تظهر من حين لآخر – رغم الحصار الرسمي والإعلامي المضروب عليها – تؤكد بأن مستقبل الإنسانية القريب هو مبهم وغامض ومخيف للغاية، بل وأخطر من ذلك أن إنسان المظهر لا الجوهر أصبح مجرد آلة جامدة « *Inanimate*»، وليس آلة حية « *Vital*» لها بعدها الروحي والمادي. ولعل كتابات إسوالد اشبنغلر[3] *Oswald Spengler* (1880 – 1936)، ومحمد إقبال[4] (1289 – 1357 هـ/ 1873 – 1938م)، وأرنولد توينبي[5] *Arnold Toynbée*(1889 – 1975)، ومالك بن بي[6] (1323 – 1393 هـ/ 1905 – 1973م)، وألكسيس كاريل[7] A.Carrel (1873 – 1944م) وعلي شريعتي[8] (1352 – 1397 هـ / 1933 – 1977م)، وألبارد جاكارد[9] Albert Jacquard، ومحمد باقر الصدر[10] (1932 – 1980م)، وإريك فروم[11] Eric Vroom، وأنا ماري شمل[12] A.Mari Cheml (1922 – 2002م)، وجمال حمدان[13]، وجلال آل أحمد[14]،وهربرت شيلر[15] Herbert Schiller ، ورجاء غارودي[16] R.Garaudy (1913 –)، ويحي عبد الواحد[17] (روني قينو سابقا René Guénon (1886 – 1951)، وغيرهم كثير ... تؤكد هذه الحقيقة المخيفة والمرعبة في آن واحد.

هاهي إنسانية اليوم تعاني الأمرين، سواء على مستوى الخواء الروحي – الأخلاقي – العلمي، أو سواء على مستوى إنعدام العدل في توزيع الرخاء الإقتصادي. وكل هذا بسبب الهيمنة والتبعية والتخلف والغربنة والعلماونية

الملحدة والتيه في عالم الأشياء المدمر ... فمجرد قراءة سريعة لتقارير منظمات حقوق الإنسان في العالم يكتشف هول معضلة إنسان اليوم، البطالة، المجاعة، الإنتحار، الجريمة، القتل، التهميش، الإستبداد، المرض، الجهل إلخ ...

ولا أبالغ – ومن منطلق قدسية الكلمة الهادفة – إذا قلت بأن المسؤول المباشر على هذه النكبة الإنسانية هي أولا الدول القوية التي تتظاهر بالحواء والتعايش والتسامح والديمقراطية ونبذ دولة الشر واللاقانون، وعمليا – ومن منطلق نفعي بحث – ترفع شعار « الحوار الصدامي الهجمي » ومحاولة فرض النظام العولمي الفاسد. حتى أن عالم اللسانات الكبير الأمريكي اليهودي نعوم تشومسكي [18] «N.Chomsky» – وغيره – إعتبروا أن أمريكا تأتي في طليعة الإرهاب الدولي الذي يهدد الإنسانية جمعاء. لكن، في نفس الوقت وبكل أمانة علمية: أنه لولا الأنظمة الاستبدادية والمتغربنة في ديار الجنوب المتخلف لما حدث كل ذلك ... وهكذا يتلقى الاستبداد والإستدمار لرد حض القيم الروحية والأخلاقية الإنسانية اليوم.

والغريب في الأمر، أن النخب المثقفة بصفة عامة تجاري هذا الفساد المعوّلم، تارة بإسم الإنفتاح والتكنولوجيا، وتارة بإسم التبادل الحر والديمقراطية. لذا قبل إجراء أي حوار حضاري – ديني – ثقافي – لا بد من طرح السؤال الوجيه من يتجاوز مع من ؟؟.

ولإزالة هذه الحواجز المعرقلة للحوار الحي - وكما سنرى لاحقا - لا بد من التفكير بكيفية فعالة في إرساء حوار المحبة والصداقة واللامجاملات مع أهل الكتاب من ناحية، والتركيز على الحوار الداخلي داخل المجتمعات الشرقية والغربية من ناحية أخرى، مع تشجيع الحوار مع ملاحدة العالم من ناحية ثالثة. وهنا يبرز دور أسلوب النقد الذاتي والمنهج الإستقلالي في تفعيل طرق التأمل والجدال والتحاور للإنتقال من التصادم والتنازع والتنافس، إلى آفاق التطلع إلى حوار التفاهم والتعايش والتثاقف. وبعبارة أخرى لا بد من تنقية الأجواء الملونة التي تسبب فيها الإستدمار الاستشراقي التبشيري وكذلك الإستبداد التغريبي العلموي، وإلا لن يكون هناك حوار نزيه ومثمر للجميع.

كل هذا يتطلب في نفس الوقت - وبعد قراءة متأنية للتاريخ الإنساني، وبعيدا عن الإنتقائية وتشويه الحقائق التاريخية - السعي الجاد والهادف لإرساء دعائم الطرح الحضاري، كما سنرى ذلك في نهاية هذه الدراسة. كما يتطلب التشخيص والتقويم وتحديد المفاهيم وجعل العلم والثقافة وسيلة لا غاية في حد ذاتهما. وفي هذا الصدد بقول العالم الفيزيائي الصيني ر.ج.هـ سين « R.G.H. SEN» في كتابه « طاوية العلم »: « إن أهداف العلم، حسب النزعة الحالية، تبدو وكأنها أتت على أهداف الحياة، وكل فلسفة تبدو اليوم على أنها تنزع إلى تعليمنا مزيدا من العلم وحسب، بدل تعليمنا أن نوحد ... وإن الإنسان ليقيس نفوذه وقدرته على الهدم في منظور العلم والتقنية الراهنة... »[19]. أو لم يسبقه في ذلك الكاتب

الفرنسي فرنسوه رابليز« François Rabelais» (1454 – 1553م) حين صرخ قائلا: « والعلم بغير ضمير ليس إلا خراب الروح »[20]؟

أجل، إن العلم بلا ضمير أخلاقي خراب لروح المجتمع والإنسانية قاطبة ... وهذا ما لم يعالج بحكمة وبصيرة في توظيف العلم لصالح الحوار الحضاري الإنساني. لأننا نفتقد إلى سياسة أخلاقية وإنسانية للكبح جماع العلوم المدمرة وتوجيهها التوجيه السليم والهادف.

وفي ضوء هذا الطرح الحضاري للحوار يمكن طرح أسئلة فرعية ومكملة لإشكالية موضوعنا الهام والمعقد في آن واحد، وهي لماذا الحوار أصلا؟ ولماذا في هذا الزمان والمكان؟ وهل هناك دواعي إنسانية ومبررات علمية ودوافع أخلاقية للحوار بين الحضارات والديانات والثقافات؟ وما هي قضايا وإطار طبيعة الحوار نفسه؟ ثم، ما هي الآليات والوسائل والأدوات لتحقيق الحوار الحضاري والمثمر لإنسانية اليوم؟ وماذا عن المصير المجهول والمخيف للبشرية جمعاء؟ وأين نحن كلنا من الحوار والصراع والصدام ... ؟؟

لا أزعم بأنني سأتطرق في هذه الورقة العلمية المحددة إلى كل جثيات وإشكاليات وفرضيات موضوع الحوار الحضاري – الثقافي – الديني، لاعتبارات موضوعية وذاتية. ولكن الذي أؤكده – وبإصرار – أن الحوار الحالي، قد فشل فشلا ذريعا، ولا يمكن الإستمرار في حوار التمييع والتضليل والإختراق. لأن هذا الأخير – ولا يزال مع الأسف الشديد- مرتبط بالحضارة الغربية والإيديولوجية الشيوعية التي عجزت عن إنقاذ إنسانية

الإنسان، بل ودفعته إلى مصير فجيع وفظيع، إنه مصير الإفلاس الروحي ... لأن الإنسان بحاجة إلى تفسير معنوي، للعالم قبل شيء آخر»، كما يقول الفيلسوف الشاعر الفذ « محمد إقبال»[21]. حتى أن الدعاء بطمأنينة يعتبر عاملا مؤثرا في الازدهار والتكامل الخلقي والنفسي وحتى في ضمان تنسيق الإنماء الوجودي للإنسان، كما يذهب « ألكسيس كاريل» أحد أشهر الفسيولوجيين المعاصرين الذي فاز بجائزة نوبل في مجال وصل العروق وحفظ الأنسجة الحية خارج الجسم [22] وصاحب الكتاب الهام « الإنسان ذلك المجهول » « L'homme, cet inconnu».

كما أشير أيضا بأن منطلقي أساسا يتمثل في البحث والمستمر عن ثقافة السؤال، والتسلح بالنقد الذاتي البناء، والتشبث بإزاحة الممنوعات أو الطابوهات بشأن الحوار الجدي والمسؤول، بدلا من الهرولة حول تبني الحلول الجاهزة أو البدائل التوفيقية التلفيقية التي أثبت التاريخ زيغها وتيهها وتضليلها. حتى أن فيلسوفا ملحدا مثل جان بول سارتر « Jean Paul Sarter» (1905 – 1980) – كما يقول عالم الإجتماع شريعتي – ينوه (اليوم) إلى غياب الله في العالم برعب وأسس وألم متزايد، ويعتبر ذلك عاملا في خواء الإنسان وعبث الوجود ونفي القيم. خلافا لكارل ماركس « Karl Marx» (1818 – 1883) والذي كان يعد « حذف الله» شرطا لإنقاذ الإنسان، وخلافا لـ فردريك نيتشه «Nietzsche Friedrich» (1882 – 1900) الذي يعلن عن « موت الله» بغرور [23]. بل وخلافا – كما أتصوره شخصيا – لرواد العلمانية والتغريبية هنا وهناك ...

المهم، ليست هذه المرة الأولى – وربما لن تكون هي الأخيرة – التي ستنعقد فيها مثل هذه الندوات العلمية الدولية بشأن الحوار بين الحضارات والديانات والثقافات. فها هو المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر برئاسة الأستاذ الدكتور الفاضل « الشيخ بوعمران» يعلن عن تنظيم ملتقى دولي حول « شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات». وذلك في أيام 24 – 26 مارس 2003 م، وهو حسب علمي السابع في سلسلة الملتقيات الدولية العلمية التي اعتاد المجلس تنظيمها وفي إطار ضيق جدا، عكس ملتقيات الفكر الإسلامي في عهد المرحومين مالك بن نبي، ومولود قاسم نايت بلقاسم ..... وكأني بهذا الملتقى – وأتمنى أن أكون خاطئا في تصوري – جاء إستجابة للأحداث الدولية الأخيرة من جهة، ناهيك عن خلفيات شعار منظمة الأمم المتحدة التي رفعته عام 2000 وهو « عام حوار الحضارات » من جهة ثانية .... دون أن نذكر الزيارات الرسمية المشبوهة في ديارنا من جهة ثالثة ....

ونظرا لأهمية الموضوع وإنشغالي به علميا وأكاديميا ونضاليا، وبعد إطلاعي على محاوره الثلاث المعلن عنها في الصحافة، إرتأيت أن أدلي بدلوعي ولو من خلال الدوريات العلمية، بعد أن تعذر علينا المشاركة فيه مباشرة، ولو من باب الإستفادة ... ولتذكير فقط بأن جل الملتقيات لسابقة لم تخرج عن طرح الخطاب الرسمي، وهذا موضوع قد عولج في آونة من طرف علماء يشهد لهم بالعلم والإستقامة ...

إذا، لقد قسمت موضوعي – الذي عنونته بـ « الإنسانية بين واقع عولمة صدام الهمجيات وآفاق التطلع إلى عالمية الحوار الحضاري الحي» – إلى المحاورة الآتية:

- المقدمة. (قد أشرنا إليها آنفا).
- تمهيد تاريخي للحوار الديني – الحضاري – الثقافي.
- **المحور الأول:** تحديد المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بموضوع الحوار.
- **المحور الثاني:** عوامل التفاهم والإلتقاء والتفاعل بين الحضارات والثقافات والديانات.
- **المحور الثالث:** عوامل الإختلاف والخلاف بين الحضارات والثقافات والديانات.
- **المحور الرابع:** نحو رسم إستراتيجية منظومة شاملة وكاملة للحوار الحضاري المثمر والحي.
- الخلاصة والإستنتاجات والتوصيات.
- ثبت المراجع والمصادر العلمية.

- تمهيد تاريخي للحوار الديني – الحضاري – الثقافي.

إن المتتبع للتاريخ الإنساني – قديمه وحديثه – يرى أن جذور الحوار الديني ترجع أساسا إلى الحوار الحضاري نفسه بين مختلف الثقافات الإنسانية التي عرفتها البشرية بصفة عامة، وخصوصا بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية بصفة خاصة. وحسب المؤرخين في تاريخ الحضارات والأديان أن الدين ظهر مع ظهور

المجتمعات الإنسانية، بإعتبار أن الدين ظاهرة إجتماعية متأصلة في مختلف المجتمعات البدائية والمتقدمة. وكان للدين دوره البارز في ظهور الأنظمة السياسة والإجتماعية، خاصة بعد ظهور الديانات السماوية الإبراهيمية الثلاث التي قامت على الإيمان والدعوة إلى الخير ونبذ الشر والفساد ...

وإذا كانت الحضارة لا تعني الجانب المادي فقط، بل إنها تشمل الجانب الروحي العقائدي الفكري التشريعي أيضا، وبالتالي تشمل نظرة متكاملة منسجمة إلى: الكون، والإنسان، والحياة. كما يذهب إليه الدكتور « شوقي أبو خليل» في كتابه: « الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة»(24) أي أن للحضارة دستورا أخلاقيا يتمثل في العقيدة وقوة النفس وتلازمه بساطة الظواهر: إنه الدستور الحضاري، كما يقول ذلك العالم الألماني إسوالد اشبنغلر» في كتابه الهام « تدهور الحضارة الغربية « Der Untergang des Abendlandes».

وهكذا تبرز لنا مظاهر الحضارة من خلال عناصرها السياسية — الإقتصادية — الإجتماعية من ناحية، وعناصرها الدينية — الفكرية — الفنية — الثقافية من ناحية أخرى، وخاصة فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية والعبادات والتصور الإنساني للكون، وكذلك إهتمامها بالنواحي لفكرية والثقافية والفنية من أبداع وإنتاج وإبتكار يمس العمران البشري. ومن ثم فالحضارة هي حصيلة جهود إجتهاد الأمم برمتها. وبالتالي عندما نؤرخ للحضارات والثقافات لا نقتصر على التاريخ الإنتقائي الذي يبدأ — كما يتصور بعض المؤرخين الغربيين وأتباعهم — عن الحضارة اليونانية الرومانية

المسيحية الفارستية الغربية، بل ويشمل كل الحضارات الإنسانية في آسيا وإفريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية. وبهذا الصدد يقول المؤرخ الكبير جورج سارتن « Georges Sarten» في كتابه « تاريخ العالم »: « إن المعجزة اليونانية المزعومة، لها أب وأم شرعيان، أما أبوها فهو تراث مصر القديمة، وأما أمها فهي ذخيرة بلاد ما بين النهرين ».[25] ... فلماذا يريدون اليوم تدمير بغداد العلم والحضارة والفن؟ ألم تكفيهم ما قاموا به من خراب وتقتيل في مختلف بقاء العالم ...؟

فعلا، وبدون إطراء أو تفاخر، كان الشرق مهد الحضارات والديانات والثقافات، وهو المعلم الأول للبشرية في المجال الروحي والمادي معا. دون إنكار للحضارات الإنسانية الأخرى. ولقد صدق المؤرخ الشهير أرنولد توينبي في كتابه « مختصر دراسة التاريخ» حين قال: « لا يوجد عرق متفوق بدأت الحضارة عن يده ...»[26] وهاهو الأستاذ الدكتور غوستوف لوبون «Gustave le Bon» (1841 – 1931). يذهب أبعد من ذلك حين يقول في كتابه « الحضارة العربية»: « لعل القارئ يتساءل: لماذا ينكر العلماء في هذه تأثير العرب، وقد كان أولى بهم أن ينزهوا عن اعتبارات التفرقة الدينية؟ الحق أن إستقلال آرائنا وتجردها ظاهري أكثر من أن يكون واقعيا، وأننا لا نكون البتة أحرارا في تفكيرنا – كما ينبغي – حيال بعض الموضوعات، فلقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي ...»[27] أجل، ولا يزال هذا التركيب العضوي والنفسي يفعل فعله، خاصة بعد أحداث 2001/09/11 في أمريكا ...

وما يهمنا في هذا التمهيد التاريخي السريع، أن لو الإتصال الأول بين أوروبا والعالم الإسلامي العربي لما كانت هذه الحضارة التي يتغنى الغرب بها اليوم، أو قل لا زالت في بداية الحضارة ... وعادة ما يتم الإتصال بين الحضارات – وهو مهم في عملية الحوار وحركته – إما عن طريق الفتوحات والهجرة والتجارة والحوار، وإما عن طريق التبادل الثقافي بين طرفين حضارين، مثل ما وقع لليونان عندما حكمهم الرومان، والصليبيون عندما وصلوا إلى بلاد الشام ذات حضارة الإسلامية العريقة، أو مثل ما وقع للفرس مع العرب والمسلمين ...

وحسب رأي علماء التاريخ النزهاء أن الحضارة العربية الإسلامية إنتقلت إلى أوروبا عن طريق المدن الإيطالية، وصقلية، ومدن فرنسا الجنوبية، وخاصة عن طريق عاصمة العلم العالمية آنذاك الأندلس[28]، مما دفع بالمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه «Sigrid Hunke» تكتب كتابا هاما عن « شمس العرب تسطع على الغرب»[29]. ونفس الشيء فعلته سفيرة الإسلام في الغرب المستشرقة الألمانية أنا ماري شمل. وفي هذا الصدد يقول فيلسوف الحضارات المرحوم مالك بن نبي: « ... وعلى هذا المنوال جاء الإسلام لينسج حضارته العظيمة حين وهب للعالم تماسكا وروحا جماعيا، خطا له إتجاهه التاريخي بعد أن كانت تسوده الأهواء الفردية، لقد خلق القرآن من البدوي إنسانا متحضرا، يشهد بحضارته ما خلف لنا من علم زراعي ناضج في إسبانيا، وفي جنوب فرنسا. واستقرار الإنسان على الأرض كان نتيجته السريعة، فنش العلم والفن، وترعرعا في مجتمع منظم لم يعد

الفرد يخضع فيه لمزاجه المتقلب، بل لنظام وقوانين».[30] وهكذا يرى المؤرخون أن إزدهار الحضارة العربية الإسلامية يمكن أن يؤرخ له في الفترة الممتدة من 750 إلى 1100 م(بل أكثر من ذلك)، وهي فترة إستمرت أكثر من ثلاثة قرون كان الحوار الحضاري والتعاون الثقافي في قمته وعطائه وأوجه حتى سقوط الأندلس، قبل أن ينتكس ويظهر إنسان ما بعد الموحدين، والذي مهدَ بطريقة أو بأخرى – إلى ظاهرة الإستدمار والإحتلال، الذي بدوره لا حطم الحضارة والفن والإنسان ولعل ما قامت به فرنسا تجاه حضارة العثمانيين في الجزائر خير مثال على ذلك ... ولعل كتابات ولیام سبنسر « W.Spencer»، والمرحوم عثمان الكعاك، والمرحوم توفيق أحمد المدني، والأستاذ عبد الجليل التميمي، والمرحوم الشيخ المهدي بو عبدلي، والأستاذ جمال قنان وغيرهم ... تثبت صحة زيف مقولة فرنسا التي تقول: بأن فرنسا المتحضرة جاءت لتنقد المنطقة من تخلف الرجل المريض وهي تركيا ..؟ وهاهي اليوم تعود من جديد لا لإحتلال الحقول، بل ولإستعمار العقول ...

وهاهو الشاعر الألماني الكبير جوته جوهان و.ف.«W.V.Goethe Johan» (1749 – 1832) يؤكد في ديوانه الشرقي: « وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح في هذا محمد (ص)، الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد».[31] هذا قليل من كثير ... فهل حان الوقت لبعث هذه الحضارة من جديد؟ ...

وفي سياق التاريخ العام نذكر بعض المحطات التاريخية الهامة في

مجال التأريخ للحضارات، أو بالأحرى تأريخ لحوار الثقافات والحضارات، حتى نؤكد بأن الإحتكاك الحضاري – رغم الحروب الصليبية وغيرها – كان دائما بين الحضارات الإنسانية الراقية والعظيمة.

ولعل أبرز رجال الغرب الأوائل الذين أبهرتهم حضارة العرب ولم يخرجوا من الإرتباط بهم هو القيصر فردريك الثاني« Freidirich 2 (1194 – 1250م)، أحد القياصرة الأعلام ... وكان ليوناردو «Leonardo» (من مواليد 1180 بإيطاليا) في طليعة من حملوا المشاعل، والذي كان معلمه «سيدي عمر» ببجاية يعلمه الحساب والجبر والهندسة ... وهكذا يصبح هذا التاجر يعلم الغرب الرياضيات والصفر الذي أبهرهم ... ولا نتعجب إذا رأينا أن البابا كان يحسب بالعربية.(32)

ليس المجال هنا لسرد ما قدمه العرب للغرب من علم وثقافة وفلسفة وفن، بما فيها الثقافة الإغريقية نفسها، لأن عواصم العلم آنذاك كانت الأندلس وصقلية وبغداد ودمشق والقيروان وبجاية وفاس وغيرها ... وليست أثينا أو روما ... وليس المجال أيضا لتوضيح بأن القرون الوسطى التي كانت مظلمة عند الغرب كانت مزدهرة عند العرب المسلمين ... ولكن، الهدف من كل ذلك هو الإستفادة من دروس التاريخ الإنساني الحضاري لتفعيل حوار اليوم والغد، وبالتالي المساهمة في خلق فضاءات ثقافية للشعوب والأمم.

ولكن سأحاول أن أقف عند بعض المحطات التاريخية المعاصرة، أو

بعبارة أخرى الوقوف عند بعض الإجتهادات الخاصة بالحوار بين الشرق والغرب:

1) ـ بشأن الرؤية المسيحية المعاصرة لمسألة الحوار مع الإسلام:

ـ يلاحظ أن الوثائق الكنيسية، كما يقول الباحث «أليكسي جورافسكي» A.B. YPABCK [33] والتي ظهرت في القرن 19 والنصف الأول من القرن 20 ركزت على أن العالم الأفرو ـ آسيوي له خصوصياته ولا بد أن يتحرر من الإستعمار وينال الإستقلال (ولو بتحفظ). وبدأ الإهتمام بمسيحية الشرق الأدنى والأوسط من ناحية، وإنشاء المراكز العلمية المسيحية في بيروت ومصر وشمال إفريقيا من ناحية ثانية. علما بأن هذه الأخيرة ليست مراكز علمية إستشراقية وتبشيرية فحسب، بل وتعد «مفاصل» رئيسية أيضا للحوار الإسلامي ـ المسيحي (لكن بمنظور خاص بالإستشراق والتبشير، كما سنرى لاحقا).

ـ و يمكن أيضا أن نستذكر أن «البابا بينديكتس الخامس عشر» قد أسس في عام 1917 أمانة شؤون الكنيسة الشرقية (أصبح إسمها بعد المجمع المسكوني (أي الكوني) الثاني أمانة شؤون الكناس الشرقية)، والمعهد البابوي للدراسات الشرقية في روما. خاصة بعد أن ظهرت آراء متباينة ومتصارعة داخل البيت الكاثوليكي والبروتستاني ... وغيرهما.

ـ كذلك نسجل إنشاء « رابطة إخوان الصفا» في مصر عام 1941، والتي كانت تتكون من مثقفين مسيحيين ومسلمين، بهدف الدراسة العلمية وتفعيل الحوار، كما يزعمون ذلك.

ـ وفي أبريل 1954 إنعقد مؤتمر « بحمدون» (بلبنان) من لدن جمعية

أصدقاء الشرق الأمريكي، والذي كان في الحقيقة يروج للإيديولوجية الأمريكية الليبرالية ضد الزحف الأحمر الشيوعي الملحد ... وهاهو الغرب اليوم يرفع شعار محاربة خطورة الزحف الأخضر وهو الإسلام! ...

- وفي فترة جلوس « يوحنا الثالث والعشرين الذي تربع على كرسي البابوية (1958 – 1963) ظهر التأكيد على مبدإ حقوق الشعوب المستعمرة في الإستقلال والتطور الإجتماعي لكن هذا بعد جهاد مرير وطويل ... إلا أن الصهيونية والإستعمار الجديد والهيمنة الغربية لا زالت إلى يومنا هذا ! ! ... ولعل التصريحات الخطيرة الأخيرة التي صرح بها كل من الرئيس الأمريكي، ورئيس الحكومة الإيطالي، خير دليل على ذلك ...

ولأول مرة – وبكل تحفظ – في تاريخ الكنيسة ناقش المجمع الفاتيكاني الثاني (1962 – 1965) على مستوى مذهبي – عقائدي مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية (خاصة الإسلام، واليهودية، بما فيها تيار الإلحاد). وفي 15 تشرين الأول 1965 تمت الموافقة على التصريح الخاص بـ « علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية: حيث صوت لصالحه 2226، في حين عارضه 88 اسقفا). وهذا التصريح الإيجابي – إلى حد ما – وصف العقيدة الدينية الإسلامية بالإيجابية من جهة، وركز على آفاق الممارسة الإجتماعية من جهة ثانية، دون أن ننسى تفتحه على الديانات غير السماوية الأخرى، بما فيها التيار الإلحادي من جهة ثالثة.

- تسجيل مؤتمرات إسلامية مسيحية، كالمؤتمر الأول والثاني في قرطبة، في أيلول 1974، وفي آذار 1977 ... على بأن الدول العربية الإسلامية

قاطعته بسبب موقف الكنيسة من النبي محمد (ص)، رغم التأكيد على تبجيل الأنبياء محمد (20 أبريل 571 – 8 يونيو 632 م/ 53ق.هـ –13 ربيع الأول 11 هـ)، وعيسى (رفع إلى السماء في 30 م)، وموسى (ظهر في القرن 13 ق.م.) ...

- وفي أواخر السبعينات من القرن الماضي ظهر الحوار – المسيحي بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي ركز على نسيان الماضي والإنصراف (بإخلاص) إلى التفاهم المتبادل وتعزيز العدالة الإجتماعية والدعوة إلى السلام العالي ... إلا أن إشكالية التطبيق وإزدواجية الخطاب الديني السياسي حالت دون ذلك ...

وفي حزيران 1976 نظم في مدينة سويسرا مؤتمر بعنوان « الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية» ... ثم مؤتمر « الديانات التوحيدية الثلاث» في مدينة لشبونة (البرتغال) في تشرين 1977 ... والذي ركز على «العالم المتغير، وتحدي دياناتنا » ... وفي مدينة سالزبورغ بالنمسا عقدت في شباط 1978 حلقة مناقشة تحت عنوان « الكنيسة والمسلمون في أوروبا»... وفي جزيران 1979 نظم ملتقى إسلامي – مسيحي في شانتليه بفرنسا تحت عنوان « الإيمان وعدم الإيمان في العالم المعاصر» ... وفي أيار 1985 شهدت روما ملتقى فكريا للأديان تحت عنوان « القداسة في الإسلام والمسيحية»[34]...

- وفي العقود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي الميلادي، وبداية الألفية الثالثة من القرن 21 ... لوحظ زخم كبير في تنظيم هذه الندوات، ناهيك

عن الزيارات الدينية والعلمية من وإلى العالمين الغربي والشرقي ... لكن، بدون فعالية كما سنرى لاحقا ! ...

2) .بشأن الرؤية الإسلامية المعاصرة لمسألة الحوار مع المسيحية:

من الصعب — في هذه العجالة السريعة — أن نتطرق إلى كل هذه الرؤى الإسلامية بشأن الحوار بين الشرق والغرب، ولكن مقارنة بين ما يجري في ديار الغرب وهنا فلا زلنا دون المستوى المطلوب، لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا، وسأحاول أن أقف عند بعضها دون إنتقائية كما يفعل البعض لتمرير خطاب ما، وهي كما يلي:

- لقد تم تنظيم ندوة علمية حول « الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام»، بالمملكة العربية السعودية، بتاريخ 7 صفر 1992 هـ — 22 مارس 1972، شارك فيها العديد من العلماء السعوديين ورجال القانون والفكر في أوروبا ...

- لقد تم تنظيم ملتقيين عالميين بين المسلمين والمسيحيين في تونس: خصص الأول لدراسة « مشكلات التطور المعاصر» في أيلول 1974. بينما خصص الثاني لمناقشة «الوحي والتاريخ ... والعقل ... والعلم» في أيار 1979.

- وفي بداية السبعينات إلى غاية الثمانينات من القرن الماضي عرفت الجزائر العديد من الملتقيات الدولية حول « الفكر الإسلامي»، وكان يشارك فيها حتى الملاحدة. ولا زلت أتذكر تدخل ذلك اليوغسلافي « شرميتا» الذي شتم الإسلام ... كما لا زلت أتذكر حتى مواقف المحسوسين على مدرسة

الغير، أمثال محمد أركون (ولد في 1928 بتاوريت ميمون تيزي وزو)، الذي تخرج من مدرسة « روبي برونشفيك» (من مواليد 1901)، و«كلود كاهن» (من مواليد 1906)، ولوسان فيفر، ولوتو رنو روبير (1907-1971). ولويس غاردي (1908-1981) وغيرهم كثير ...

- وفي شباط 1976 عقدت في طرابلس (ليبيا) حلقات بحث عالمية إسلامية مسيحية ... حيث صدرت في ختامها وثيقتان حول « الأسس النظرية العامة للديانتين والميادين المختلفة للقاءاتهما و« الأعمال الضرورية للقضاء على الخرافات وسوء التفاهم التي تجزئنا» ... ناهيك عن مئات المناظرات التي تمت في عهد صاحب الكتاب الأخضر ... بغض النظر عن محتواها ...

- وفي مدينة بيروت، وفي تشرين الثاني من عام 1977، عقد لقاء مسيحي — إسلامي تشاوري تحت عنوان «الإيمان. العلم. التقانة ومستقبل البشرية» ... ثم تلته العديد من المؤتمرات الإسلامية الأخرى في عامي 1972 و 1980، وغيرها ...

- وفي كولا — لامبورام بماليزيا نظمت العديد من الندوات الخاصة بالحوار، ففي تشرين الثاني 1979 — مثلا، نوقشت « مشكلات الحوار الديني» في الملتقى الذي نظمته إتحادية الأساقفة الآسيوي ...وكذلك ندوات جامعية حول « مشكلات الحضارات عند المفكر مالك بن نبي» ... وغيرها.

- وفي جمادى الأولى من عام 1403 هـ، وبعده بخمس أعوام في عام

1408هـ وبعد وفاة الإمام «الخميني»[35] (1321 – 1408هـ/ 1902 – 1989م)، تليت وصايته السياسية الإلهية، وهي بمثابة صحيفة الثورة الإيرانية ... وهي وثيقة سياسية دينية هامة موجهة إلى جميع المسلمين والمستضعفين في العالم ... حيث يطرح فيها تصوره الحضاري – الإنساني ... ولا زالت بصمانتها بارزة على خطاب حوار الديانات والحضارات في إيران وغيرها ...

- وفي 1987.12.22 ألقى سماحة العلامة السيد « محمد حسين فضل الله»[36] محاضرة هامة في الجامعة الأمريكية في بيروت تحت عنوان « تأملات في الحوار الإسلامي المسيحي: أكلتنا الضوضاء فتعالوا لكلمة السواء»[37] ... وكان لها صدى طيبا في الأوساط الإسلامية والمسيحية سواء داخل لبنان أو خارجها ...

- المصادقة على البيان الختامي للمؤتمر الإسلامي المنعقد بطهران بتاريخ 9-1997/11/11، والذي تم فيه التأكيد على الهوية الإسلامية والمشاركة الدولية الفعالة في أي حوار يخدم الإسلام والإنسانية جمعاء ... وبذلك يكون قد سبق هيئة الأمم المتحدة التي رفعت شعار حوار الحضارات في 2001/11/21 ... لكن، دون التفكير الجدي في إيجاد الآليات التطبيقية ... مما أدى إلى التراجع فيما بعد سواء في المؤتمر الإسلامي التاسع بالدوحة (2000/11/14/12). أو في المؤتمر الطارئ في مارس 2003م/1423 هـ ...

- وفي 1999.10.29 ألقى رئيس جمهورية إيران الإسلامية الدكتور

«محمد خاتمي» (من مواليد 1944) خطابا هاما حول « حوار الحضارات والثقافات»، أمام منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة « اليونسكو» بباريس [38] ... وهي وثيقة سياسية وعلمية لتفعيل الحوار الحضاري العالمي وتحصينه ... دون ذكر مئات الملتقيات الخاصة بالحوار سواء في الجامعات الإيرانية أو في مختلف المؤسسات الأخرى ...

ـ لقد تمت الموافقة على البيان الختامي « لمنتدى إسطنبول » من طرف منظمة المؤتمر الإسلامي والإتحاد الأوروبي بتاريخ 12-2002/2/13 [39]. وأهم نتيجة توصل إليها المنتدى — رغم بعض التحفظات — هو تعزيز التفاهم والانسجام بين الحضارات وفق البرنامج الدولي للحوار بين الحضارات، خاصة بعد أحداث 2001/9/11 وتداعياتها.

ـ كذلك نسجل في بحر هذه السنة، وتحديدا في بلجيكا، تلك المحاضرة التي ألقاها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة حول « حوار الحضارات» ... والتي يحاول فيها إعطاء أهمية للحضارة العربية الإسلامية عبر التاريخ الإنساني ... ولو أن هذا في حاجة إلى الإصلاح الداخلي من جهة، وإعطاء أهمية للبعد العربي الإسلامي من جهة ثانية ... والإبتعاد عن بعض الإصلاحات التي تضر بالعباد والبلاد، خاصة في مجال الإصلاح التربوي والسياسي والقانوني ... من ناحية ثالثة.

ـ كذلك لا ننسى أهمية الحوار داخل البيت الإسلامي العربي، إبتداء من اجتهادات الأوائل في الخمسينات حول « تقريب المذاهب الإسلامية»، وخاصة بين السنة والشيعة ... إلى الإجتهادات الأخيرة — رغم قلتها — في

مجال التقارب القومي العربي الإسلامي، أو في مجال الفقه السياسي، كما جاء في « مجمع الفقه الإسلامي في مؤتمره الرابع عشر» بالدوحة من 8 إلى 1423/11/13 هـ * 11-2003/01/16م ... حيث تم تقديم 577 بحثا .. أو كما جاء قبله – مع بعض التحفظات – بشأن الملتقى الدولي حول التفاهم بين المذاهب الإسلامية، المنعقد بالجزائر في 10 – 12 محرم 1423هـ/ 24-26 مارس 2002 م ...»[40].

ومن خلال هذا العرض التاريخي السريع لتاريخ الحوارات المختلفة، نلاحظ أن هناك زخما في عقد الملتقيات واللقاءات، وفي جميع المجالات. لكن في مقابل ذلك – وهنا مربط الفرس كما يقولون – أن الحوار لم يصل بعد إلى تحقيق التعايش والسلام والعدالة الإجتماعية .... بل لا أغالي إذ قلت بأن هناك فجوة كبيرة حول الحوار نفسه، لأنه لم يطرح بعد – وبكيفية عملية – مسألة إفلاس الحضارة المعاصرة روحيا وأخلاقيا ... والأمر من ذلك هو تبرير النظام العولمي الفاسد ..

ولكن، مهما يكن من أمر، فلا بد أن يأتي الوقت المناسب لتقويم مضامين ومصاديق هذه الحوارات والندوات، ومن ثم التفكير في رسم خطة إستراتيجية شاملة وعادلة لإنجاح الحوار بين الحضارات والثقافات. وهذا في رأي المتواضع مرتبط بتأصيل الرؤى المطروحة وتجديدها في آن واحد. وفي هذا الصدد يقول المطران « جورج خضر» (من مواليد 1923 بطرابلس): « حتى يكون الحوار فكريا ينبغي أن يكون كامل الوضوح والصدق ... أي حوار الحياة»[41]. كما أنه مرتبط بقراءة نقدية وحضارية لتاريخ الإنسانية، من

بدايته إلى نهايته، وبدون خلفيات إستدمارية مدمرة للإنسان والبيئة معا... مع الإنتباه إلى مشكلة تحديد المصطلحات والمفاهيم بوضوح وجلاء، حتى يحدث هذا الحوار الفكري الحي ... وهذا ما سنعالجه في المحور الأول من هذه الدراسة.

- المحور الأول: تحديد المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بموضوع الحوار

ما كنت لأتطرق إلى هذا المحور الخاص بتحديد المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بموضوع الحوار، والتي تعالج في مواء المنهجية والإبستمولوجية واللسانيات، وفقه اللغة، إلخ ... لولا إكتشافي بأن العديد من الموسوعات العلمية — وخاصة الموسوعات الحضارية والسياسية والدينية — لها مفاهيم أقل ما يقال عنها أنها غير محايدة .. وعليه، فلا بد من الإشارة السريعة إلى المقاربة الاشتقاقية لإصطلاح الحوار «le dialogue» في اللغات العربية والأجنبية من ناحية، وتحديد مصطلحات الدين، والحضارة، والثقافة، من ناحية أخرى. قبل الوصول إلى إعطاء مفهوم شامل ومانع لمدلول الحوار الديني الحضاري الثقافي من ناحية ثالثة. هذا دون إغفال أهمية المصطلحات الأخرى المرتبطة بالحوار كالصراع والصدام، والعالمية، والعولمة، الخ ... من ناحية رابعة.

وبشيء من التأمل الفكري في دلالات المنبع الإشتقاقي للفظة الحوار،

مبنى ومعنى وتاريخا، يمكن أن نصل إلى تحديد المفاهيم والمصطلحات وتوضيح الأفكار. لأن بدون ذلك لا يمكن الوصول إلى حوار مثمر على الأقل من الناحية النظرية. ناهيك عن غياب الثقافة الموسوعية والمختصة في شتى ميادين المعرفة. وهذا ما أدى إلى غياب وتغييب أدوات الحوار والمحاورة بين الأنا والآخر. ولقد صدق من قال بأن: « من جهل الشيء عداه» ... وأن من يكتفي بالتفكير العقيم لن يصل إلى التفكير الحر النزيه ... ولذا يجب أن يكون شعار الحوار الحضاري هو: « تعلم وزد معارفك قدر إمكانك وأينما إستطعت ... وأن الكتاب وسيط في السياسة، والعلم سفير للسلام». هذا إذا عرفنا كيف نتحكم في المنظومة المعرفية الإنسانية ...

الآن، نصل إلى تحديد مفهوم « **الحوار**» ...؟

لقد ورد في «لسان العرب»[42] أن كلمة «**الحوْر**» تعني الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وحار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ومحارة وحؤورا: رجع عنه وإليه. وفي الحديث: « من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك حار عليه»، أي رجع إليه ما نسب إليه. والحوْر: هو الرجوع. ويقال أيضا: والباطل في حور أي في نقص ورجوع ... وكلّمته فما رجع إلى حوارا ومحاورة وحويرا ومحورة بوزن مشورة أي جوابا. والمحاورة هي المجاوبة. والتحاور هو التجاوب. وإستحاره أي إستنطقه. وأصل الحور: الرجوع إلى النقص. وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق في المخاطبة. وقال أبو عمرو: الأحْور: العقل، وحكى ثعلب: إقض محاورتك أي الأمر الذي أنت فيه.

ويقال للرجل إذا إضطر أمره: قد قلقت محاوره، أي إضطربت عليه

الأمور فكنى عنها بالمحاور. وكذلك يقال إنه لذو حَوير أي عـداوة ومضـادة. وكذلك هناك كلمة الحواريون أي صفوة الأنبياء الـذين خلصـوا لهـم. وأيضـا تعنى الخاصية من الأصحاب والمناصرين والحواريـون هـم أصـحاب وأنصـار النبي عيسى (عليه السلام)، كما جاء في القرآن الكريم: « كمـا قـال عيسـى إبن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله». سورة: الصف – الآيـة: 14. أي الحواري هو الناصح والناصر، وجمعها حواريون.

وهكذا فكلمة حاور، يحاور، محاورة، وحوارًا غيره: جاوبـه وراجعـه الكلام. قال تعالى: «فقال لصالحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا واعز نفراً» سورة: الكهف – الآية: 34. وعليه المحاورة هي المحادثة بين شخصين في موضوع ما. وتحاور القوم: تراجعوا الكلام وتجاوبوا. قال تعالى: « والله يسمع تحاوركما» سورة : المجادلة – الآية: 1. صدق الله العظيم.

والمحـاورة حسـب تـداولها – وفي إطـار السـياق التـاريخي – تعنـى المجادلـة والحجـاج والنقـاش وتقـديم البرهـان والكـلام، حتـى أن العـرب المسلمين اخترعوا علما كاملا سمي بعلم الكلام القائم على الحجاج والجـدال وتقديم الأدلة العقلية في أمور الدين والدنيا. ولذا قيـل الجـدل يعـني مقابلـة الحجة بالحجة. والمجادلة المناظرة والمخاصمة. ولقـد بـرع في هـذا المجـال على وجه الخصوص فرقتي المعتزلة والشعية، وغيرهم ...

« وعلم الكلام» المرتبط أساسا بالحوار والمحاورة العقلية – يطلق عليه عدة عناوين مثل « الفقه الكبير»، وأصول الدين « وعلم التوحيـد والصـفات» «وعلم النظر والإستدلال » و«العقائد». وهـو كمـا يقـول الفيلسـوف «أبـو نهـر

محمد الفارابي » (260 – 339 هـ/874 – 950م): « صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة، التي صرح بها واضح الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»[43]. في حين أنعلم الكلام عند « أبي حامد الغزالي» (450 – 550 هـ/ 1058 – 1111م) يقصد به: «حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة»[44]. بينما يرى عبد الرحمن إبن خلدون (732 – 808 هـ/ 1332 – 1406م) أنه: « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد». ثم يضيف قائلا: « ... لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها»[45].

أما علم الكلام عند « مرتضى مطهري» هو: « ذلك العلم الذي يبحث فيما يجب معرفته من المعتقدات بنظر الإسلام على النحو الذي يوضحها ويستدل عليها ويدافع عنها»[46].

وأما « الجدل» – أي الجدل الفكري – هو: « معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ...»، كما يقول ابن خلدون[47]... لأنه لا يمكن إجراء حوار بدون فقه الحوار وآداب المحاورة والمناظرة..

كذلك هناك « علم أصول الفقه»: الذي يعد من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ من الأحكام والتكاليف. وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب، والسنة،

والإجماع، والقياس ...» كما يقول « ابن خلدون»[48]. وهكذا أصبحنا نستعمل كلمة فقه السياسة، وفقه المعاملات، وفقه الحوار إلخ ... إلى جانب الاهتمام « بالخلافيات» بين المجتهدين أنفسهم ... والإهتمام «بالفلسفة الإسلامية» ... ناهيك عن ميادين « تاريخ الأديان المقارنة»، كما فعل أبو الحسن الأشعري (250 – 324 هـ/ 874 – 936م) في كتاب «مقالات الإسلاميين»، وأبو حيان التوحيدي (310 * 414 هـ(في كتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة»، وابن حزم الأندلسي (384 – 456 هـ/ 944 – 1064 م) في كتاب «الملل والأهواء والنحل»، و«المسعودي علي بن الحسين» (توفي في 3406 هـ / 957م) في « مروج الذهب ومعادن الجوهر» ... وهذا قبل أن يظهر العالم الألماني الشهير « فردريك ماكس ميلر» في أوائل 1875، والذي ألف موسوعته الكبيرة عن « الكتب المقدسة للشرق».

إذا، يلاحظ أن كلمة الحوار والمحاورة تعني المقابلة والمجادلة والمناقشة والمناظرة بالحجة العقلية والنقلية معا، وفي شتى مجالات المعرفة العلمية والدينية والفلسفية. وبالتالي فالحوار عند علماء الإسلام هو مخاطبة العقل والقلب معا.

أما المصطلح الأجنبي « Dialogue» فهو مشتق من الكلمة اللاتينية القديمة « Dialogus» وتعني المحادثة «Discussion»، وتبادل الآراء بين شخصين أو أكثر. كما تعني المحادثة بهدف تهيأة أرضية التصالح والوفاق في المجال الدبلوماسي. كما لها معاني في المجال التأليفي وكتابة

المسـرحيات. وكلمـة «Dialogue» مـأخوذة مـن كلمـة « Dialectique/ Dialectica وهو الجدل الخاص بالمحادثات، فنقول الجدل السفسطائي، والجدل المنطقي، والجدل الفلسفي، والجدلية المادية إلخ ...

والمحادثـات الاسـتطلاعية « Conversations/Pourparlers de sondage» تستعمل في المجال الدبلوماسي وهي المحادثات التي تهدف إلى معرفة رأي شخص ما أو عدة أشخاص مسؤولين حـول موضـع أو مشـروع أو إقتراح معين، بغية الإستئناس به وأخذه بعين الإعتبار قبل إتخاذ أي إجراء نهائي بشأنه، كما يذهب إليه الأستاذ « سموحي طوق العادة » (من مواليـد 1930) في « معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية»[49]. كذلك نجد مصـطلح المناقشـات العامـة «Les Débats Générales » وهــي المحادثـات والمداولات التي تجرى في المؤتمرات الدولية. كما هو المعمـول بـه في مناقشـة «حوار الحضارات» و « حقوق الإنسان» و « البيئة الدولية » إلخ ...

والتـاريخ يخبرنـا بـأن الفلاسـفة الإغـراق الأوائـل أمثـال سـقراط « Socrate» (470 – 399 ق.م)، وأفلاطـون «Platon» (427 – 348/ 347 ق.م)، وأرســطو «Aristote» (384 – 322 ق.م)، وغيرهــم ... تكلمـوا كـثيرا في مجـال الفلسـفة والمنطـق والجـدل ... ومـن هنـا بـرزت المحاورات الفلسفية التي كان ضحيتها الأول الفيلسوف سقراط ... وبالتالي فعلوم الفلسفة والمنطق هي من صنعهم، علما بـأن لكـل حضـارة فـلا سـفتها وعلمائها وحكمائها سواء قبل هؤلاء، أو سواء بعدهم ...

وهكذا إرتبط مصطلح الحـوار «Dialogue» بالمجـال الـذي يتناولـه

فنقول الحوار الحضاري، والحوار الديني، والحوار الثقافي، والحوار الفلسفي، والحوار السياسي، والحوار العلمي، وهلم جرا ... والذي يهمنا في هذا المجال هو الحوار بين الحضارات والديانات والثقافات، ولو أن الأمور مرتبطة مع بعضها البعض ... وعليه فالحوار بيننا وبين الآخر لا يتم بدون هذه النظرة الشمولية للحوار، ولذا لا أتفق مع من يحاول حصره في اللحظة التاريخية التي نعيشها من أجل الحوار المستقبلي، (كما يذهب إليه الباحث « محمد محفوظ» في كتابه «الإسلام الغرب وحوار المستقبل»، المغرب، الدار البيضاء، 1998، ص 228) ... لأن الحوار بين الإسلام والمسيحية واليهودية حوارا دينيا وتاريخيا ...

وفي نهاية المطاف نصل إلى مجموعة من التعاريف العلمية بشأن حوار الحضارات والديانات والثقافات، وهي كما يلي:

ـ « أن لا حوار بين الحضارات بدون قيام ثورة ثقافية عارمة، من شروطها، أن تحتل الحضارات غير الغربية في الدراسات مكانة متساوية في الأهمية على الأقل لمكانة الثقافة الغربية. وأن ينظر إلى الفلسفة نظرة جديدة، فهي ليست كما يفهما الغرب بحثا فكريا بحتًا، بل هي طريقة حياة. وأن يحتل علم الجمال مكانة على الأقل في مثل أهمية تلقين العلوم والتقنيات. وأن يكون للمستقبلية، وهي فن تصور المستقبل، والتفكير في الغايات، ما للتاريخ من أهمية على الأقل»[50]. وهكذا نجد أن الحوار الحضاري عند الفيلسوف « رجاء غارودي» له بعده الثوري الثقافي الفلسفي الجمالي التاريخي المستقبلي .... وهو مهم لمعرفة الطرف الآخر من الداخل

...

ـ أما نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور « حمدي زقوق » فيري أن: « الحوار هو السبيل إلى بلوغ الهدف والوصول بالبشرية إلى بر السلام. فمستقبل الإنسانية جمعاء يتعلق بحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب».(51) أي بكلمة واحدة أن الحوار هو السلام والتفاهم ... ولا مستقبل للإنسانية والشعوب بدونه.

ـ أما الدكتور ورئيس جمهورية إيران الاسلامية السيد « محمد خاتمي» فيعرفه في خطابه الهام أمام منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة « اليونسكو»، بباريس بتاريخ 1999.10.29: « إن مقولة حوار الثقافات والحضارات»، يمكن تفسيرها والحديث عنها بأشكال مختلفة وفي مستويات متعددة. إن التدقيق والتأمل في معنى الحوار يفتح الطريق للدخول الصحيح إلى النقاش، ومن الطبيعي أن هذا الأمر يستلزم الدخول إلى البحوث الفلسفية والتاريخية وتفكيك الجوانب الكلامية والفلسفية للحوار والتأمل في مجال آراء كبار المفكرين، وهو لا يمكن التفصيل فيه في هذا الموقع والمقام بالطبع، غير أن الإشارة إلى بعض النقاط الإجمالية حول الحوار يعد هنا أمرا ضروريا. إن الحوار ونفترض أن معناه الفلسفي والنظري واضح، يحمل في طياته معنى حقيقيا وآخر مجازيا ... إن تنظيم إجتماعات خاصة بالمناقشة وتبادل الرأي حول القضايا المختلفة هي واحدة من مصاديق الحوار، كما أن المساعي والجهود الثقافية والفنية والعلمية والأدبية كافة تمثل بدورها مصاديق أخرى للحوار ... إن « حوار الثقافات والحضارات» يجمع ظاهرا

في طياته خصائص متضادة وأحيانا متناقضة، فمن جهة، فإن عمره هو عمر الحضارة والثقافة البشرية، ومن جهة أخرى، فهو أمر بديع وجديد. إن إزالة هذا التناقض ليس أمرا صعبا بالطبع ... وهذا يستلزم تعريفا خاصا لـ « الثقافة» و « الحضارة» و « الإنسان» ... إن فهم مقولة « حوار الحضارات » بصورة تحويزية يحمل في طياته الإنتباه والتأمل في قضايا من بينها العلاقة بين السياسي والفنان، وكذلك بين الأخلاق والسياسة ... كل هذا من أجل صناعة مستقبل أكثر عدلا وجمالا وإنسانية ... مع الإنتباه إلى مسألة التأثير والتأثر والتبادل والسيطرة الثقافية والحضارية ... ومن شوط نجاح « حوار الحضارات» إشاعة التسامح ... والتعاون المشترك ... وتحقيق الإيمان والسلام ... وعلاقة الإنسان بالطبيعة ... ودراسة الأرضيات المؤدية للحروب والنزاعات من خلال علم النزاع والجدال « Conflict 1094» ... والاهتمام بمسألة الفقر».[52]

ويستنتج من هذا التعريف الحقيقي والمجازي البعد الفلسفي الكلامي الجمالي الإنساني لمفهوم حوار الحضارات والثقافات من ناحية، والدعوة الصريحة إلى إشاعة ثقافة التسامح والتعاون والسلام والإيمان ومحاربة الفقر وتجاوز النزاعات والحروب المدمرة من ناحية أخرى ... إن بكلمة واحدة الحوار التنويري القائم على هندسة المستقبل الإنساني، وفق منطق العدل والجمال والأخلاقيات السياسية ودولة الإيمان والإنسان ... فما أحوج الإنسانية إلى ذلك ؟

ـ أما الإيمان الأكبر الدكتور « محمد سيد طنطاوي»، فأكد في كتابه

«أدب الحوار في الإسلام»: « ... أن أسلوب الحوار والجدال في القرآن الكريم يمتاز باتساعها دائرته ووضوح قضايا شموله بما لا يحصى من المسائل ... فهناك محاورات بين الخالق عزوجل وبين مخلوقاته من الرسل الكرام ومن الملائكة المقربين ومن الشيطان الرجيم ... وهناك حوار بين الرسل ... وقد تدور على ألسنة بعض الناس ألفاظ، المناظرة، والمجادلة، والمثابرة ... إلخ». (53) وهكذا يصبح الحوار في الإسلام أمر ضروري وشامل في شتى المجالات الحياتية ... لكن في إطار آداب الحوار الإسلامي... وفي هذا الصدد يقول مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ « حسن خالد» في ترجمته لكتاب « موريس بوكاي» «التوارة والإنجيل والقرآن والعلم»، ص 5: « ... فالحوار كان ولا يزال وسيلة كريمة، يفرض بها أن تتوسل الكثير من الحكمة والأناة والمرونة ... ويمثل شكلا من أشكال الدعوة إلى الحق، ومنهجا من مناهج النضال ضد الفساد والباطل والشر ...».

وهكذا، فالحوار الحضاري الحي هو ذلك الحوار الذي يحمل في طياته التأمل والتدبر والتفكير في كل شيء لهندسة مستقبل الإنسانية وصناعته وفق منطق العدل والجمال وكرامة الإنسان من ناحية، وتحقيق ثقافة السلام والتفاعل والتعاون الإنساني من ناحية أخرى، مع البحث المستمر على حقيقة العقل والقلب لتفعيل العلاقات الإنسانية وتجنب الحروب والنزاعات المدمرة للبشرية جمعاء من ناحية ثالثة. وهذا في رأيي متوقف على إيماننا بحوار الحكمة والعقل والعلم والإيمان، خاصة وأن جوهر الرسالات السماوية الثلاث يتمحور حول التعمق في التفكير الروحي ومحاربة

دولة الفساد والإستبداد والإلحاد. وبعبارة أخرى، أن الحوار التنويري الحي هو الدرب الوحيد والرأي السديد لإنقاذ الإنسانية من آفاق الشر والفقر والتيه والحروب، ومن ثم الوصول إلى دولة الخير والعدل وإرساء قيم المحبة والأخوة الصادقة في ظل التعايش والتسامح الديني والتبادل الحضاري، وبعيدا عن النظام العولمي الفاسد.

الآن ماذا عن تعريف مصطلحات «الدين» «Religion»، و«الحضارة» «Civilisation» و«الثقافة» «Culture» ؟؟

من الصعب بمكان التطرق في هذا المقام إلى جميع محاور مواضيع الدين والحضارة و الثقافة، خاصة وأن هناك علوما تتناولها في المجال الفلسفي والفقهي والكلامي واللاهوتي والجمالي والإجتماعي والإنساني إلخ...

ولكن ما يهمنا في هذا الإطار أن الدين – ونقصد الأديان السماوية الثلاث – جاء لخدمة الإنسان، لا لتسخيره وإذلاله وجعله مسلوب الإرادة والحرية. أليس هو خليفة الله في الأرض لعبادته وتحمل مسؤولية أداء الرسالة الربانية الخالدة ؟.. وفي هذا الصدد يقول عالم الإجتماع الأديان علي شريعتي: « إن الله نفخ من روحه في الإنسان وجعله أمينا له. إذن الإنسان هو خليفة الله في الأرض وهو روح الله وقريبه، وتكفيه هذه الفضيلة: إمتلاكه الإرادة. فالإنسان يستطيع أن يفعل كل شيء كما الله، وله الحرية في أن يصبح شريرا أو خيرا. إن الملائكة سجدوا للإنسان لعلمه، تعلم الأسماء فسجدت له الملائكة. إن الإنسان، وهو خليفة الله، يتحمل مسؤولية أداء

رسالة الله على الأرض، وعليه أن يقرر مصيره بنفسه، فهو مسؤول عن أعماله ومصيره - « لكم ما كسبتم ولها ما كسبت» - إن مصائر الحضارات الماضية كانت ما إكتسبت بأيديها، ومصيركم سيكون ما تكسبون بأيديكم»[54]. وهكذا فالدين — وخاصة الدين الإسلامي، يعتبر سلاح روحي بيد الإنسان في صراعه الإجتماعي والإنساني من ناحية، وفي صراعه ضد الطبيعة من ناحية أخرى، وفي صراعه ضد الشر من خلال التحلي بالخير وقيمه من ناحية ثالثة، وجعل الدنيا مزرعة الآخرة من ناحية رابعة. ولهذا جاء في الأثر: « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، وإعمل لأخراك كأنك تموت غدا».

ومن هذا المنطلق الرباني تبرز أهمية الإيمان بوحدانية الخالق ورفض كل أشكال أنواع الشرك والإلحاد والطاغوت، ومن ثم يظهر دور الدين في بناء المجتمع الإنساني العادل والحر.

إن الدين يمثل الجانب المقدس في حياة الأشخاص والجماعات، مما يجعله في مرتبة من السمو والتقديس والتبجيل. وبالتالي — كما يقول الأستاذ « حسن اسماعيل عبيد » ظل على مدى التاريخ الإنساني عاملا أساسيا لتنظيم الحياة الإجتماعية ... وبقي على الدوام يحدد شكل المجتمع، بل أنماط السلوك الإجتماعي للأفراد. أي أن الدين — كما يرى عالم الإجتماع الفرنسي اليهودي إميل دور خايم «Emile Durkheim» (1958 — 1917) — يعتبر أساسيا في تحقيق التضامن والتماسك الإجتماعي، بل هو ظاهرة عالمية ومهددة للحوار الديني، كما جاء في أول محاولة علمية غربية

لدراسة الدين من طرف فردريك ماكس ميلر «F.M.Muller»، (الكتب المقدسة للشرق –50 جزءا)[55].

إن الدين الإسلامي جاء ليكمل الأديان السابقة، أي الديانات السماوية الإبراهيمية، فلم ينكرها، بل إعترف بها وبرسلها. فيقول الله تعالى: « وقل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون». سورة آل عمران – الآية: 84. وجاء في الحديث الشريف: « الأنبياء أخوة أمهاتهم ودينهم شتى ودينهم واحد» وقال رسول الإسلام (ص): « أنا أولى بعيسى إبن مريم، ليس بيني وبين عيسى نبي».

وجاء في الإصحاح من سفر التكوين 21: 9 – 22: « وقال إبراهيم ليت إسماعيل يعش أمامك ... وأما إسماعيل قد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ...الخ».[56] إنها الذرية المختارة ...

إذ، هذا هو الذي نطلق عليه اليوم بحوار الديانات .. علما بأن الدين هو مجموع المعتقدات والعقائد التي تربط الإنسان بالخالق عزوجل من ناحية، كما أن هذه العقائد الدينية مستمدة من تعاليم الكتب المقدسة لعبادة رب الكون الواحد الوحيد الصمد من ناحية ثانية، وهذه الديانات السماوية – بغض النظر عما جرى من تحويرات في التوارة والإنجيل – تتمثل في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام، دون المعتقدات أو العقائد الوضعية التي صنعها بعض الحكماء: كالكنفوشيوسية، والشنتوية، والبوذية، وغيرها

...(فالأولى أنشأها كونفشيوس الصينيين « Kung Futzu» (559 – 478 ق.م)، أما الشنوية «Shinto» تعنى الآلهة في اليابان (587م)، أما البوذية نسبة لغوماتا سيد هانا الذي دعي «بوذا» أي المستنير (564 – 483 ق.م) ...

وإذا كان علماء الدين برزوا بقوة في زمن أوج الحضارة العربية الإسلامية، وكذلك في العصر الحديث، مع انخفاض دورهم الريادي والجهادي والإجتهادي ... فإن الأمر لا يختلف كثيرا عن دور علماء اللاهوت في الديانات الأخرى، حيث إهتموا بالدراسات اللاهوتية والمقارنة ... لكن من منظور أطروحاتهم المتباينة ... وهنا نسجل ظهور علماء الديانات المقارنة سواء في المعسكر الغربي أمثال: إدوارد ب. تايلور «Edwards B.Taylor» (1932 – 1914)، وفردريك ماكس ميلر «F.M.Muller»، وردولف أوتو «Rudolf Otto»، وجيراردوس فان ديرليو «Gerardus Van der leauw»، وميركا إلياد « Mircea Eliade » وغيرهم كثر(57) ... أو سواء في المعسكر الإسلامي كـ : « علي عبد الواحد وافي»، وعلي شريعتي»، و« باقر محمد الصدر»، والشيخ « عبد الواحد يحي» (روني قينو سابقا)، والجراح المسلم« موريس بوكاي»، و« إتيان غاسن» «Gilson Etienne» (1884 – 1974)، والسيدة المسلمة الأدبية « قلنتين دي سان بوان»، وغيرهم ...

كل هذا ساهم إلى حدج ما في إبراز أهمية الحوار بين الديانات،

والذي لا يزال في حاجة إلى ثورة ثقافية عميقة وشاملة، خاصة وأن الكثير من الدراسات الإستشراقية لا زالت بعيدة كل البعد عن الحوار العلمي والنزيه ... فلا زالت صورة الإنسان المسلم في المنظومة المعرفية الغربية كصورة ثابتة منذ قرون عدة و بالرغم من التبدل الذي طرأ على شكلها فإن الجوهر لم يتبدل كما يقول الدكتور سعيد إدوارد في كتابه «الإستشراق».[58]

أما بشأن مصطلح «الحضارة» «Civilisation» فكثرت الآراء والأقوال حول مضمونه[59]. فإذا كان المعنى اللغوي متشابه ومتفق عليه في العديد من القواميس، والتي تؤكد بأن الحضارة هي الإقامة في الحضر وهي خلاف البداوة، وبالتالي فهي الإقامة في الحضر. فإن المدلول لمعنى المصطلح وقع فيه إختلاف كبير حتى في داخل الحضارة الواحدة ... ناهيك عن الحضارات المتباينة.

يرى الأستاذ « رزيق قسطنطين» في كتابه « معركة الحضارة»[60] أن الحضارة هي فعل في الطبيعة والإنسان، أما الباحث « ألبرت اشفيستر» Albert E. » في كتابه « فلسفة الحضارة»[61] «أنها التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء». لكن السؤال المطروح أين هذا الجانب الروحي في حياة المدنية الغربية؟ ثم هل الروح الكهنوتية الكنهسية في مستوى تحدى الروح المادية المدمرة للإنسان العربي؟ وماذا عن التحالف الديني المسيحي- اليهودي – الصهيوني تجاه العالم الإسلامي ؟؟ ... أين جوهر الإنسان في هذه الحضارة المادية ؟؟

يقول الأستاذ الشرق والغرب « محمد إقبال» « ... فهي (يقصد الحضارة الغربية) في خصومة دائمة مع الدين والأخلاق، وإنها عاكفة على عبادة آلهة المادة».[62] ثم يقول أيضا: «الإنسان العصري وقد أغشاه نشاطه العقلي، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحية الكاملة ... فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ... مجتهد يحركه تنافس وحشي، وعلى حضارة أفقدت وحدتها الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القوى والقيم الدينية والقيم السياسية».[63]

أما تعريف الأستاذ « مالك بن نبي» في كتابه « شروط النهضة» فيرى أن الحضارة ليست أجزاء مبعثرة ملفقة، ولا مظاهر خلاية، وليست الشيء الوحيد، بل جوهر ينتظم جميع أشيائها وأفكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحو تاريخ الإنسانية»[64] ويقول أيضا: الحضارة = إنسان + تراب + وقت».[65]

في حين يرى المؤرخ البريطاني « أرنولد توينبي» «A.Toynbée» أنها: « ثمرة تحدي البيئة للإنسان ونوع إستجابته لها، أي أن المبدأ الأساسي لإنشاء الحضارة هو مبدأ التحدي والإستجابة من ناحية، كما أن للدين حركة صاعدة في الدورة الحضارية من ناحية ثانية. وهنا يبرز الدور التفاعلي بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها».[66] ويبدو أن هذه الفكرة، والتي نادى بها زميله الألماني « إسوالد اشبنغلر، مستمدة من نظرية « ابن خلدون» في الدورة الحضارية ...

أما الأستاذ « علي شريعتي»، فيرى أن: « الحضارة هي درجة

التكامل في القدرة على التفكير واتساع الرؤية وعمق الروح ولطفها، والنضج الاجتماعي، وخلق الوعي والإحساس بالمسؤولية، ومعدل الثروة الثقافية والقفزات الفكرية والعقائدية، وإستقلال الشخصية وإستعداد الخلق والقدرة على الإستفتاء والنقد والإختيار وإيحاد ضمير تاريخي وإجتماعي، والوعي والإلتزام بالمستقبل، وتحديد حق المرء في إشتراك ونصيب إشتراكه في الصنع وتغيير المصير حسبما يجب». كما أنها: « تستلزم تعبا وعملا وصبرا وشجاعة روحية وإستقامة أخلاقية وإخلاصا وتضحية وتحملا للحرمان ومواجهة للخطر وكسبا للجدار والوعي وصمودا وتقولا وعملا وذكاء كثيرا وطمعا قليلا ووعيا ذاتيا وإنكارا للذات وتوقعا للخطر من الأعداء وضرر الكائدين وحسد الأصدقاء وتعرضا للحبل والأحقاد وضيق الأفق والعقد المرضية الدنسة وكل ما يلزم لإيجاد الحركة والدعوة إلى اليقظة»[67] أي أن الحضارة في رأيه هي العودة إلى الذات والوعي بالذات لخلق التكامل الروحي والفكري والمادي من خلال جهاد الدعوة ونضال اليقظة ... وبفضل هذا الطرح الجريء والذكي لمعلم الثورة الإيرانية علي شريعتي، مع وقودها الروحي الإمام الخيمني، تم إسقاط نظام الشاه العميل للغرب والأمريكان، ولا زال الجهاد الأكبر متواصلا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ...

أما التعاريف الأخرى، فترى أن الحضارة هي محصلة التاريخ الثقافي والتراث المستتبع للمدنية، كما يرى علماء الإنسان. في حين يرى البعض الآخر أن الحضارة هي نتاج النظام الإقتصادي والمادي. بينما يذهب الأستاذ « حسن جابر» إلى القول بأن الحضارة هي نتاج عادات وتقاليد وكل مظهر فني وأدبي.[68] في حين يرى رأي آخر أنها هي مظاهر العمران البشري ...

إذا، نستنتج من خلال هذه التعاريف المتعددة والمتباينة أن لكل حضارة معتقد جوهري أو رمز أولي «Prime symbol» خاص بها، أي لكل حضارة روح ومحتوى وجوهر، مقابل المجتمع الذي يعتبر وعائها وجسدها، كالإسلام والعروبة في الحضارة العربية الإسلامية. وبالتالي لا تكون الحضارة إلا نتاجا إجتماعيا وجماعيا، ومن خلال تكوينها المتمثل في الإنسان والتراب والوقت. وهنا يبرز بجلاء الدعوة إلى المشروع الحضاري الذي يعبر عن طرح الشعب والأمة، وبالتالي تظهر أهمية الرؤية الإنسانية للبديل الحضاري ذاته، سياسيا، وإجتماعيا، وثقافيا، وإقتصاديا، وإداريا ... وهذا ما تم فعلا في أوج الحضارة العربية الإسلامية قبل أن تنهار قيم الروح والعقل خلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن، لتفسح المجال للآخر ... ولكن، في نفس الوقت ورغم سيادة مرحلة الغريزة المادية فكل الشروط مهيأة لنهضة وبعث هذه الحضارة من جديد، بشرط واحد هو تغيير الأنفس حتى تتماشى وروح الإسلام ورسالته الخالدة ... أي تغيير الذهنيات والقابليات للإستدمار الثقافي ...

كذلك نلاحظ أن الحضارة لا تعنى « المدنية» المقتصرة فقط على الجوانب التقنية والصناعية، كما يلاحظ اليوم في حضارة الغرب المفلسة روحيا، لأنها فوق المسائل المادية البحتة، والتي عادة ما تؤدي إلى الترف والإضمحلال والفساد.

ولعل الشيء الملف للإنتباه، بأن الحضارة هي جوهر ينتظم ظواهر الحياة وقطب نحو تاريخ الإنسانية من ناحية، ومعتقد جوهري وروحي

وأساسي للمجتمع الإنساني والبشري من ناحية أخرى. علما بأن هذا العمل الحضاري المتميز يتطلب الاجتهاد والعمل والجهاد و النضال والإستقامة والوعي والتضحية والإعداد للقوة والفطنة من ناحية ثالثة. وعليه، فلا مفر لنا من بعث هذه الحضارة من جديد والدعوة إلى عالمية الطرح الحضاري الإنساني وابتسار الأزمات قبل وقوعها، سواء في ظل الحوار أو الصدام مع الآخر.

وعلى ضوء ذلك، كل رؤية حضارية لأمة من الأمم تتقاطع مع الرؤى الأخرى في مسائل الحوار والصراع، وحتى في إطار التنافس والتصادم. مما تستدعي هندسة المستقبل انطلاقا من الماضي والحاضر والمستقبل، بما فيه البعد الغيبي الذي نعتبره البعد الرابع للإنسان الكامل.

أما حول مصطلح كلمة « الثقافة» «Culture»، والتي كانت تستعمل إلى حد قريب عند الألمان بأنها هي الحضارة، فتعني في المدلول اللغوي — وباختصار شديد — الحذق، وسرعة التعلم، والفطنة، والعمل بالسيف، علما بأن الثقاف هي ما تسوّى به الرماح، والأدب، والتهذيب، والظفر بالشيء ومصادفته الخ ... وبكلمة واحدة أصبحت تعني اليوم التمكن من العلوم والمعارف والفنون والآداب. وهذا ما دفع بالبعض يعتبر الثقافة هي تعلم الحضارة في جميع مظاهرها المادية والروحية.

في حين المداليل الإصطلاحية للثقافة فهي كثيرة جدا[69]، مثلها مثل المفاهيم الخاصة بالدين والحضارة، ولكن سنقتصر على أهمها، فهناك من إعتبرها بأنها منهاج التفكير بحكم أنها الدستور الخلقي والذوق الجمالي

والمنطق العملي والصناعة بالتعبير الخلدوني، كما يرى ذلك مالك بن نبي.[70]

أما الكاتب « مايثو أرنولد» «M.Arnold» في كتابه المسمى « الثقافة والفوضى» والذي صدر عام 1869، فيرى أن: «الثقافة هي محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني، مما يؤدي إلى رقي البشر».[71] وعليه فالثقافة هي بمثابة جسر للحضارة، أي تعلم الحضارة.

إلى جانب المداليل الأخرى التي ترى بأنها هي الوسط الإجتماعي والمحيط الحضاري، والتهذيب والإطلاع الواسع ،و التعبير عن الخصوصيات الشعبية من معارف وقيم، والإنية الحضارية الخ ... حتى أصبحت الكلمة مرتبطة إرتباطا عضويا بالمضامين الأخرى كأن نقول: الثقافة السياسية، والثقافة الإجتماعية والثقافة الإدارية، والثقافة البيئية، والثقافة العلمية، وغيرها...

أما إدوار تايلور «E.Taylor» صاحب كتاب « الثقافة البدائية، « Primitive Culture» فيعرفها بأنها: « كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات، والفنون والأخلاق، والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بإعتباره عضوا في المجتمع».[72] وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر اللامادية والمادية لحياة الناس في الجماعة. وخاصة المجال العقيدي الديني الأخلاقي الذي هو أساس الحوار بين الحضارات والثقافات والديانات، بغض النظر عن الإختلاف العقيدي والفكروي ... مع العلم بأن الثقافة الغربية ثقافة مادية عقلانية محضة ...

وربما هذه العقلانية المادية الديكارتية هي التي أدت إلى إفلاس الغرب روحيا... (نسبة للعالم الفرنسي والفيلسوف: « روني ديكارت» René «Descartes» (1596 – 1650) ...

أما عالم الإجتماع المعاصر «روبرت بيرستد» « Robert Bierstedt» فيعرف الثقافة في كتابه « النظام الإجتماعي، The Social Order»: «هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو تقوم بعمله، أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع».[73] أي أن الثقافة حسب تعريفه هي ظاهرة مركبة من العناصر الفكرية والسلوكية والمادية، علما بأن الحضارة هي كذلك ... ولكن كل هذا مهم في تحصين لغة الحوار بين الثقافات الإنسانية.

وحسب الأساتذة « ميكائيل ثومبسون » « Michael Thompson»، وريتشارد إليس «Richard Ellis»، وايرون ويلدفسكي، «Aeron Wildavsky»، في كتابهم المشترك « نظرية الثقافة Cultural Theory»، فهناك ثلاثة مفاهيم أساسية للثقافة وهي: التحيزات الثقافية، والعلاقات الإجتماعية، ثم أنماط وأساليب الحياة. وهنا تبرز الثقافات السياسية، ونظرية القابلية الإجتماعية الثقافية للنمو[74]، والقابلية للإستعمار ... وغيرها. وكذاك تظهر أهمية خلق الفضاءات الثقافية والتبادل المعرفي والتثاقف دون اختراق أو قتل للهويات، كما يظهر الآن في الثقافة المعولمة.

كذلك ما يمكن توظيفه في مجال تحصين الحوار الحضاري هو التركيز على مسائل التثقيف الواعي وإبراز المشروع الثقافي لكل أمة من ناحية، والتركيز على عنصر التثاقف في إطار عالمية الطرح الحضاري الإنساني من

ناحية ثانية، والدعوة إلى نشر الثقافة التوحيدية من ناحية ثانية، والوقوف بصرامة أمام تحديات عولمة الفساد والاستبداد من ناحية رابعة وفي هذا الإطار نثمن تلك المظاهرات والتظاهرات العالمية المندِدة بالنظام العولمي ودعاة صدام الهمجيات والحروب اللا انسانية ...

إذا، لا مغر للإنسانية من عالمية الحياة الإنسانية المعاصرة، وهذا في إطار الانفتاح والتنوع والتفاهم، ولا أقول في إطار عولمة الإنفساخ والإنحلال والإختراق والإستعباد. وكذلك لا بد من عالمية الحياة الاجتماعية في إطار التفاعل والتقارب والإتقاف والإنسجام، بدلا من الترويج إلى منطق قوة إزالة الثقافات والإنيات والسيادات، تحت اسم المواطنة الدولية والتبادل الحر والقرية الكونية الموحدة ونهاية التاريخ ... وبالتالي من حقنا أن نفكر سويا في حوار هادف وإنساني خارج دائرة الهيمنة والتبعية والتخلف والتخويف ... أي نحن محكمون بحوار الحكمة والتعايش والسلام والتفاعل ... وعليه، فلا معنى للحوار خارج إنهاء الاختلافات الفكروية والعقيدية من ناحية، وإدارة هذه الإختلافات دون نزاعات أو صدامات من ناحية ثانية.

وعليه من حق كل شعوب المعمورة أن تدعو إلى الحوار الحضاري، ولما حتى إلى الدعوة إلى الصراع الفكري السلمي في إطار مقارعة الحجة بالحجة. لأن الحوار الحضاري التنويري لا ينفي أبدا هذا الصراع التنافسي السلمي، ولكن الذي ينفيه وبقوة هو صدام الهمجيات و لا أقول صدام الحضارات. أما بشأن هذه المقولة الأخيرة القديمة – الجديدة لأستاذ السياسة اليهودي الأمريكي « صماوئيل هانتغتون» «S.P.Huntington» فيمكن النظر إليها

من زاوية إدارة الأزمات[75] لإحتوائها وإيجاد البديل الناجع لها من منطلق علم إدارة الأزمات. لكن إذ تجاوزت الخطوط الحمراء — وهنا الخطورة — فتصبح مجرد للهمجيات، ولو إدعت الحضارة والمدنية وإرساء دولة القانون والخير والديمقراطية ...

وإذا كان المجال لا يسمح لي بالتطرق إلى هذه النظرية القديمة — الجديدة والتي نادى بها قبله اليهودي الأمريكي لويس برنارد Louis Bernard الذي يؤمن بالصراع الحضاري. فإن أؤكد بأن نهايتها ستكون مثل خطاب الياباني الأمريكي« فوكو ياما فرانسيس« F.Français» ... لأنها مرتبطة بالترويج للنظام العولمي، وبمركزية الخطاب الإستراتيجي الأمريكي، وبفوضى الأمم على حد تعبير الإستراتيجي الفرنسي « بيار لولوش« «Pierre Lellouche».

وللتذكر فقط أن العديد من الباحثين تصدوا لهذه النظرية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة برلين الحرة فرتيز ستيبات « Fritz Steppat» والذي إعتمد على المنظومة الإبراهيمية للحوار، مركزا على كتابات أبو حامد الغزالي، واللاهوتي « هانز كونغ» صاحب كتاب « مسؤولية كونية» والدعوة إلى إعلان نمو أخلاق كونية» الذي تبناه برلمان أديان العالم الذي إنعقد في شيكاغو في عام 1993 ... والألماني « ميكائيل نشتا ينهاوزت«.Micheal N.I»، والدكتور « وجيه كوثراني» الذي يرى أن نظرية صدام الحضارات لا تدخل في مفهوم الحضارات، بل هي تعبير عند أزمة النظام العالمي الجديد الذي وصل إلى

نقطة حرجة (هي فوضى الأمم) ... والكاتب « محجوب عمر » الذي عالجه من زاوية الصراع الربي - الصهيوني[76] ... وغيرهم كثير ...

لكن مهما قيل في هذه النظرية الغربية التي لا أتفق معها، فإني أؤكد بأن « هانتغتون» محق في تصوره بالنسبة للإنتماء الحضاري المسيحي الغربي، والتشديد على أهمية العامل الحضاري والديني والثقافي في صنع الحدث، ورفض مقولة الحياد في توظيف العلم لصالح الغرب .. بل إنه يدعوا إلى نظام دولي جديد تحت مظلة أمريكا والغرب وإسرائيل ... وهذا درس لأولئك الذين يفصلون العلوم السياسية عن واقعهم الحضاري والثقافي، بحجة الموضوعية والحياد ...!!

ونخلص إلى القول في نهاية هذا المحور إلى أن غياب تحديد المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بموضوع الحوار بين الحضارات والثقافات والديانات، سيؤدي حتما إلى فشل الحوار، والعكس صحيح. ولذا فإني أدعو لا إلى « إعلان نمو أخلاق كونية»، كما قال اللاهوتي الكاثوليكي « هانز كونغ، لأن هذا قد نادى به الغزالي منذ زمن بعيد لما قال: « تخلقوا بأخلاق الله». ولنقارن بينه وبين كتاب « أخلاق جديدة للعالم» «لهانزكونغ» ؟؟ ... ولكن، أدعو إلى قراءة متأنية ونقدية وفاحصة ما كتب بشأن الحوار، لأن إذا كانت المقدمات خاطئة فالنتائج ستكون خاطئة حتما ...

وبعد أن أعطينا صورة مختصرة ومركزة حول البعد التاريخي الإنساني للحوار الديني - الحضاري - الثقافي، بإعتباره أن التاريخ هو الموجة في كل شيء. ومحاولة دراسة المفاهيم والمصطلحات الأساسية للحوار والجدال.

سنحاول الآن التطرق إلى دراسة عوامل التفاهم والإلتقاء والتفاعل بين الحضارات والثقافات، قبل أن ننتقل إلى دراسة عوامل الإختلاف والخلاف بين الشرق والغرب. والتي لا شك أنها ستساهم ولو بالقسط البسيط في إرساء الأرضية المشتركة للحوار والتعايش والبناء، كما سنرى ذلك في رسم إستراتيجية منظومة شاملة وكاملة للحوار الحضاري المثمر. مع تقديم حوصلة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها من خلال هذه الورقة العلمية.

ـ المحور الثاني: عوامل التفاهم والإلتقاء والتفاعل بين الحضارات والثقافات والديانات:

لقد رأينا سابقا كيف أن مسار التاريخ الإنساني الحضاري – بإيجابياته وسلبياته – هو عبارة عن سلسلة متكاملة الحلقات ومتواصلة مع بعضها البعض. وبالتالي لم ينقطع الإتصال البشري ولو لحظة واحدة، اللهم إلا من حيث طبيعة هذا الإتصال وأهدافه، هل هو مباشر أم غير مباشر، هل بدافع تعاوني، أم لأغراض أخرى ؟ وهكذا كان الإحتكاك والتفاعل بين مختلف الثقافات العالمية المختلفة.

وسنحاول التركيز في هذا المحور الهام على المواضيع الآتية :

1) ـ الإنطلاق من أرضية الحوار التنويري لا للحوار التمييعي.

2) ـ دور عامل الترجمة في إثراء الإلتقاء وتسهيل التفاعل.

3) ـ أهمية العلاقات الثقافية وتبادل الزيارات العلمية في العالم.

1) ـ الإنطلاق من أرضية الحوار التنويري لا للحوار التمييعي.

من خلال تعريفنا لمفهوم الحوار يمكن لنا أن نفرق بين الحوار التنويري الحي والمثمر، وبين الحوار التمييعي التضليلي المضر. لأن كل الناس – حتى الذين لا يؤمنون به سلوكا – يدعون بأنهم من دعاة الحوار وكلمة السواء . . .

ولـذا طرحنـا في البدايـة مجموعـة مـن الأسـئلة الجوهريـة المرتبطـة بإشكالية البحث والمتمثلة أساسا فيما يلي: ما جـدوى هـذا الحـوار في ظـل الإفلاس الحضاري الإنساني؟ ولماذا الحوار؟ ولماذا في هذا الظـرف باللـذات، رغم أن الموضوع ليس بالجديد؟ وهل هناك دواعي ومبررات ودوافع للحـوار؟ وما هي قضاياه وإطاره وطبيعته وآلياته ووسائله إلخ ...؟؟

إذا، من خلال هذه الأسئلة المثيرة والمقلقة في آن واحـد، وغيرهـا مـن الأسئلة التي طرحـها الآخر حول موضوع الحوار، يمكن لنـا أن نرسـم معـالم هذه الأرضية الفكرية، دون إغفـال وإنكـار الإجتهـادات الأصـلية والمتجـددة بشأن الحوار الحضاري.

وعندما نؤكد على دراسة واقع الإفـلاس الحضـاري الإنسـاني اليـوم، فهذا معناه أننا لم نستفيد بعد من تلك الـرؤى والأطروحـات المسـتنيرة الـتي شخصت الواقع وقدمت البديل، سواء أتت من الشرق أم مـن الغـرب، هـذا مـن ناحيـة ... ومـن ناحيـة أخـرى أن هـذا الواقـع المـزري الـذي يتزايـد بإستمرار قد أثبته هذه التنبؤات الفكرية الهامة الـتي لم يؤخـذ بهـا بعـد .. ورغم كل ذلك لا زلنا نتشدق بالحوار التضليلي في ظل أخطبـوط عولـة الشـر والفساد.

هذا لا يعني أبدا إنكاري للحوار كحـوار، والـذي لا مفـر منـه. ولكـن يجب أن نفرق بين حوار التنويري المغيّب، وحـوار التضـليل المسـيطر علـى العقول والنفوس المريضـة لأن بـدون ذلـك لا يمكـن التقـدم خطـوة واحـدة في تعزيز الحوار وتحصينه وتعميمه.

لكن، كيف يمكن إجراء هذا الحوار التنويري المغيّب في ظل أنظمة إستبدادية لا تؤمن أصلا بسلاح الحكمة والإيمان وقدسية الكلمة الطيبة؟ بل والأخطر في ذلك كيف يمكن للحوار التنويري أخذ مكانه الطبيعي في ظل إفلاس حضارة القرن 21 م/15 هـ ؟؟

ولعل أولوية الأوليات التي ننطلق منها في هذه الأرضية هي: لماذا الحوار أصلا؟ فإذا كان الحوار من أجل الحوار، على غرار مقولة العلم للعلم، أو الفن للفن، وليس لخدمة المجتمع، فهذا ليس بحوار ... لأنه وضع بغرض الإستهلاك المحلي والدولي لتبرير الواقع لا لتغييره ... أي وضع بواعز من جهات مخابراتية لتوظيف العلم في خدمة الترف الفكري، وتكريس منطق القوة والفساد. وبذلك يصبح الحوار لا معنى له.

كذلك إذا كن الحوار بدون استقلالية فكرية أو منهجية في الإستقلال الفكري والإجتهادي – وهذا ما يخشاه العلماء النزهاء – فهو مجرد جلسة خالية من آداب الحوار وفقهه. وبالتالي يصبح الحوار بعيد عن التنوير والتحرير، وفي خدمة حوار التضليل والتجهيل.

فمنذ لقاء بحمدون (لبنان) إلى لقاء إسطنمبول (تركيا) – ومرورا بآلاف اللقاءات المشبوهة: كان آخرها في الجزائر ملتقى القديس أوغستان «S.Augustin» (354–430 م) – بدلا من القديس دونا «Donat» (توفي حوالي 355 م)– والسنة الجزائريين بفرنسا (2003 م / 1423 – 1424 هـ) – والأمور بشأن الحوار تسير من السيء إلى الأسوأ، حروب، مجاعات، فقر، بطالة، خواء روحي، جرائم، إنهيار القيم الكونية، فساد، تدمير البيئة ... إلخ.

ولا أدري إذا كان الأمر مع ملتقى الجزائر المشار إليه سابقا، ولو المعلومات الأولية – سواء من حيث الطرح، أو إستدعاء بعض الشخصيات العلمية دون الأخرة تؤكد أن الملتقى الدولي لا يخرج عن دائرة خطط الغير ... ولنا الخبرة في الملتقيات السابقة (مع بعض الإستثناءات المحدودة جدا).

أما إذا كان الحوار – وهذا ما نتمناه قولا وعملا – منطلقه البحث عن الحقيقة والتأمل التدبري في مصير الإنسانية المظلم، والإلتزام بفقه الحوار وآداب الجدال الحسن وكلمة السواء بيننا ... فهنا يصبح الحوار: حوار حياة، وفرض عين على كل فرد مهما كان وضعه وإنتماؤه ... إنه الحوار التنويري الحي والمثمر.

فها هو القرآن الكريم يأمرنا بآداب الحوار مع أهل الكتاب، فيقول عزوجل: « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وإليكم إلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون». سورة العنكبوت – الآية: 46. ويقول الله تعالى: « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » سورة آل عمران – الآية: 64. ويقول الله تعالى: « وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا ...» سورة آل عمران – الآية: 84. صدق الله العظيم.

وكل هذا يعني في أرضية الحوار أن يكون الحوار الديني – الذي هو جوهرة كل حوار – منطلقا من قول الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال

الأحسن، والدعوة إلى كلمة السواء، ومقاومة الظلم، والدعوة إلى الإيمان ... ومن ثم الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش الأخوي. وهكذا يمكن للدين – كما يقول هانز كونغ – أن: « يؤمن قيما مطلقة وقواعد غير مشروطة ... منطلقات وأسباب المسؤولية الملقاة على عاتقنا ... فالأديان معنية بصلاح الإنسان إذ توفر له دعما دينيا أساسيا وأهلا ... وهي توفر للكرامة الإنسانية والحرية الإنسانية والحقوق الإنسانية: قاعدة عميقة جدا». علما بأن لكل طرف معتقداته لا يتخلى عنها، لذا: « لا يعود للحوار أساسا أي معنى إن لم تبق هناك معتقدات راسخة لكل طرف في ما يتعلق بدينه».[77] لكن في المقابل لا مفر من الدعوة إلى الإسلام إذا ظهرت الحجة البينة للناس ... كما يجري الآن في الديار الغربية، رغم الحصار والقمع.

كذلك لا بد من الإهتمام بترشيد إدارة شؤون الحوار من أجل أهداف محددة ومتفق عليها بين الديانات الإبراهيمية، كالدعوة إلى الثقافة التوحيدية، وإرساء القيم الأخلاقية والروحية، ونبذ أشكال الإستبداد والفساد والإستعباد، وجعل العلوم والثقافة في خدمة المجتمعات البشرية، والدعوة إلى عالمية الطرح الحضاري الإنساني بعيدا عن عولمة الفساد والإضطهاد.

ننتقل الآن إلى الإجابة على السؤال الآخر وهو: لماذا هذا الحوار في هذا الظرف بالذات ألا يعتبر هذا في حد ذاته تكريس لواقع التضليل والتجهيل والميوعة والتيه؟ أم هناك طرح آخر غير ذلك؟؟

إذا كانت الحضارة أو الثقافة الحضارية هي التي تصنع الأحداث الوطنية والدولية، فإن العلوم السياسية هي التي تدير هذه الأحداث، بإعتبارها علوم التدبير والإصلاح وفن إدارة الحكم. وعليه، فلا بد من فهم الخلفيات السياسية والفكروية لأي حوار يجرى بين الشرق والغرب ... فقد تكون لصالح الحوار التنويري الذي تريده الشعوب المقهورة، وقد تكون لصالح الحوار التضليلي الذي يريده البعض الآخر.

إن إختيار العامل الزماني والمكاني له أهميته الكبرى في إنجاح الحوار وفشله. على الرغم من أن الحوار بغض النظر عن محتواه — لم ينقطع ولو لحظة واحدة ... إنها السيرورة التاريخية لكل الحضارات الإنسانية ... لأن الطبيعة ترفض الفراغ، وإذا لم تملأ ذلك الفراغ فسيأتي من يملأه غصبا عنك ...

وهنا أتساءل كيف يمكن إجراء نزيه في ظل التبعية الثقافية للغير ؟ وكيف يمكن إجراء حوار في ظل اللا إستقرار السياسي والقمع الفكري والتضليل الإعلامي ؟ وكيف يمكن إجراء حوار في ظل تهميش العلماء النزهاء ...؟ وماذا عن سياسات التطبيع والإختراق التي تطبق في البيت الإسلامي العربي؟ وهل تنظيم هذه الملتقيات الدولية، التي ظاهرها العلم، وباطنها الهدم ... لا صلة لها بما يجري الآن في باريس، وغيرها ؟؟ أليس هذا مرتبط بما يجري الآن للترويج للنظام العولمي الفاسد؟؟..

فلو قمنا بقراءة سريعة لواقع البنايات الثقافية والتعليمية والإعلامية في العالم العربي الإسلامي بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة، فنجد أن ما

قدمناه للغير يفوق بأضعاف المضاعفة لما قـدمناه، لشـعوبنا وأمتنـا ... إنهـا « معضلة التحيز» عـن غبـاوة للغـير ... كمـا يـذهب إليـه الباحـث « عبـد الوهاب المسيري» ... فمثلا ما قدمته جزائر الإستقلال خلال العقود الأربعة للفرنكفونية والتغريب يفوق ما قامت به فرنسا نفسها أثناء إحتلالها للجزائر ... لتنتهي بمهزلة الإنضمام للمجموعة الفرنكفونية، وربما حتى الـتفكير في الانضـمام إلى الماسـونية ... ناهيـك عـن الإصـلاحات المشـبوهة في ميـادين التعليم والتربية والأسرة والعدالة والإدارة ... هذا إذا تغافلنا عن الهجـرات السرية للأقدام السوداء، والعملاء الحركة، وغيرهم ...

ومن المفارقات الغريبة — وهذا بحكم التجربة الميدانية — أن أكثر مـن ثلثي مقرراتنا برامجنا الجامعية (إن كانت لنا جامعة) يخـدم الغـير، سـواء عن جهل أو تجهيل، فالنتيجـة واحـدة، وكـل الطـرق تـؤدي إلى رومـا! أو باريس ... بل وحتى إلى تل أبيب، وواشنطن ...

وإليكم بلغة الإحصائيات أن من بـين عشـر ملتقيـات تـنظم في السـنة الواحدة، ثمانية منهـا تخـدم ثقافـة الغـير، حتـى ولـو في مجـال دراسـات البحوث الطبية والأمراض ... وأحيانا حتـى بإستخدام لغتنـا، مـن أجـل التموية والتضليل ...

وعليه، فإني أريد أن أتكلـم لأقـول علانيـة: لا المكـان، ولا الزمـان، متوفران لإجراء مثل هذه الحـوارات الحضـارية .. ومبرراتـي في ذلـك يمكـن حصرها فيما يلي:

1/ ـ من الغباوة بمكان إجراء حوار مع الغير القوي، وحصوننا مهددة من الداخل، كما يقول محمد محمد حسين [78].. كيف يسمح لهذا الغير – وبتعاون مع أذياله في الداخل – تنظيم ملتقيات حول تاريخنا وديننا ولغتنا وثقافتنا، ولا يسمح بتنظيم ملتقى عن شخصية وطنية، أو تقديم شهادة تاريخية حية، أو عرض فيلم عن صحابي جليل ...؟؟ كيف يسمح لمئات وحدات البحث العلمية المشبوهة، ولا يسمح بتنظيم وحدة بحث علمية أصيلة ؟؟ ... إنه الإختراق والتحيز بإسم الحوار والتفتح ...

2/ ـ هل هناك إستقلالية فكرية في هذه الأجواء المشبوهة والمحمومة والموجهة من هنا وهناك؟ وما العلاقة بين هذه الملتقيات ومسائل التطبيع مع إسرائيل، وقمع الإنتفاضة الشعبية في فلسطين، وأحداث 2001/9/11، والترويج للعولمة، وخصخصة الثقافة، ودعوة البعض دون البعض الآخر، خاصة إذا كان هذا الآخر له رؤية جريئة للحوار بين الحضارات ...؟؟

3/ ـ كل حوار يكون منطلقة رد الفعل سيكون حوار غير مجدي، وبالتالي، ستكون نتائجه سلبية مسبقا ... فماذا جنينا من تنظيم ملتقى «القديس أوغستان »؟ وملتقى الإسلام والديمقراطية (حتى التسمية خاطئة، والأمم الشورى والديمقراطية، أو المسيحية والإسلام إلخ ....)؟ وملتقى الإرهاب الدول« ... وغيرها ؟؟ والسنة الجزائرية بفرنسا»!؟ ... والأسئلة لا تعد ولا تحصى ...

4/ ـ من الصعب إجراء حوار فكري مستقل وحر في هذه الضوضاء السياسية من ناحية، إلى جانب حالة الطواريء التي تعرفها البلاد منذ

سنوات من ناحية ثانية، وهذا ما أدى إلى تهميش العديد من العلماء المجتهدين والمجاهدين، وفتح المجال للآخر .. بل هناك من رفض أصلا الدخول في هذه اللعبة السياسية بإسم الحوار بين الحضارات ... وهذا ما وقع أخيرا في الملتقى الدولي للإرهاب، وغيره ... أليس مداد العلماء في مرتبة — بل وأفضل — من دماء الشهداء؟ أليس العلماء ورثة الأنبياء ؟ ... لكن بالتأكيد ليس علماء البلاط ...

5/ ـ قد يقول قائل، ولكن ما العمل؟ العمل ببساطة: « كن صادقا صدوقا، وقل الحقيقة، وتخندق مع شعبك وأمتك » ... لأن العلم بلا ضمير هو خراب لروح المجتمع والإنسانية قاطبة ...

أما بشأن الدواعي والمبررات والدوافع لعقد الحوارات الحضارية — ولو من الناحية النظرية — فيجب النظر إليها من حيث الغاية الذي يرمي إليه الحوار ذاته. فإذا كان الحوار إستشراقي — تغريبي — تبشيري — إستدماري فداوعيه معروفة مسبقا ... وهذا ما جرى أخيرا في تكريم بعض العلماء وعلمائهم في باريس.

كذلك إذا كان يرمي — ومن خلال برنامجه المسطر — إلى تبرير الواقع والدعوة إلى سلم الإستسلام، وموالاة الأعداء ومداهنتهم، ... إلخ. فلا حاجة لنا بهذا الحوار التضليلي التمييعي: ولو جاء من أعلم العلماء ...

ولكن في مقابل هذه المطبات، هناك دواعي إيجابية للحوار، يمكن تحديدها فيما يلي:

أولا ـ نحن محكمون — شرعا وعقلا — بضرورة الحوار التنـويري لتبليـغ الرسالة السماوية الربانية. وهذا إنطلاقا من رسـالة التبليـغ وتحمـل الأمانـة الربانية التي كلـف بهـا الإنسـان — الخليفـة في الأرض. وإلاّ سـاد الجمـود والركون وترك المبادرة لأهل الإلحاد والفسـاد ... إنـه الصـراع الأبـدي بـين الإنسان والشيطان ...

ثانيا ـ هذه الضرورة الشـرعية والعقليـة مقترنـة أصـلا بالضـرورة العلميـة والجهاديـة والنضـالية. أي اقـتران الإيمـان بالعمـل ... فإمـا أن تـؤثر، أوتتـأثر... تتصـل، أو تتجمـد ... تنفـتح بحكمـة، أو تنغلـق وتضـمحل ويذهب ريحك ... تملأ الفراغ التي ترفضه الطبيعة، أو يملأه الآخـر، ولـو كان طالحا زنديقا عربيدا ...

ثالثا ـ إذا كان الحوار التنويري غايته هندسة مستقبل الإنسـانية في ظـل التعايش والسلام والعدل والطمأنينة والسكينة والأمان. فهذا معناه أن الحوار هـو حـوار حيـاة الإنسـانية جمعـاء ... وفي هـذا الصـدد يقـول الـدكتور « حسن عبد الله الترابي» وهو يحاور الغرب، قبل أن يزج بـه إلى السـجن: « إن أبلغ رسالة يمكن أن نحـاور بهـا الغـرب هـي الحـديث عـن مسـتقبل البشرية ومستقبل العالم وتطوره، ذلـك أنهـم قـد أصـابتهم شـهوة الإسـتئثار بالثروة لا يقاسمونا إياها، وبالعلم يريدون أن يحتكروا التقنية العاليـة، وقـد أسكرتهم محبة إستغلال مواردنا وحفظها وتسخيرها لصالحهم. إن المسلمين فرطوا تفريطا كبيرا في دينهم ونظمهم وفكـرهم. فـلا بـد لنـا أن نعتـذر أولا، ونسعى لتقديم نماذج تعبر حقا عن الدين الإسلامي. ولا معنى للحـوار إذا لا

لم نستطع تنزيل معاني الدين على واقعنا المعاش، ذلك أن المال وحده لا يجدي نفعا لدى الآخر إلا بإقترانه بالسلوك الذي يجعل المسلمين قدوة وأسوة للآخرين يمثلون لهم الذي يدعون إليه في حياتهم». [79]

رابعا: إنطلاقا من هذه النظرة المستقبلية الناقدة لإنسانية اليوم يمكن الإعداد إلى المستقبل الزاهر والعادل للبشرية جمعاء، لكن في إطار عالمية الطرح الديني — الحضاري — الثقافي، لا في إطار النظام العولمي الفاسد المدعم بقوة المادة والطغيان ... وعليه، لا بد من إحياء وبعث كل ما هو خير وجميل وعادل في تراث الحضارات الإنسانية، لفهم الواقع وتشخيصه، ثم تقديم البديل المستقبلي.

خامسا: أن لا خيار للإنسانية اليوم من الدعوة إلى الثقافة التوحيدية، وأخلقة العلوم والتقنيات ... فالله، الله، تخلقوا بخلق الله، قبل فوات الأوان ...

ولتحقيق خيار الإنفتاح الواعي، وخاصة الإنفتاح السياسي الهادف، يجب التركيز على ما يلي:

1 ـ اللقاء على أرض وأهداف مشتركة (بعيدا عن الموالاة، والموادة، والمداهنة، والتركيز على الإخلاص الروحي الذي هو عمل الإنسان).

2 ـ الإعتراف بالوجود لا بالشرعية. (خاصة تجاه التيارات الأخرى).

3 ـ الإنفتاح والحذر العملي. (لأن هناك إنحرافات وإختراقات عديدة).

4 ـ تحصين الساحة الداخلية داخل البيت الإسلامي العربي (بالإيمان والوعي والمعرفة والتدبير). وعليه، فالإنفتاح إنطلاقة، والإنغلاق جمود، كما يذهب إليه السيد « محمد حسين فضل الله» [80].

5 ـ تفعيل الساحة الدولية والتطلع إلى الوحدة العربية الإسلامية، على غرار ما يقوم به الغير القوي .. سواء على مستوى خط طانجه — جاكرتا، أو وحدة العرب من المحيط إلى الخليج، أو الإتحادات الإقليمية العربية الإسلامية، أو مثلث القوة الإقليمي (القاهرة/طهران/ أنقرة)، أو محور جنوب — جنوب إلخ ... والحذر كل الحذر من المخططات الأطلسية الشمالية المشبوهة ... لكن كل هذا متوقف على الموقف الشعبي الواعي ودور العلماء النزهاء والملتزمين بالخط الحضاري ...

وخلاصة القول، فإذا كان المبرر للحوار بالصيغة السلبية الأولى فيجب مقاطعته والتنديد به أينما كان، وحيثما كان. أما إذا كان بالصيغة الإيجابية الثانية فيمكن أن يكون حوار الحياة لا لنا كعرب مسلمين فقط، بل ولكل الإنسانية جمعاء ... وهنا يكون المبرر شرعي وعقلي وإنساني ومستقبلي لإجراء الحوار المثمر.

أما بشأن قضايا وإطار وطبيعة ووسائل الحوار الحي ذاته، فإنني فضلت تناوله في المحور الخاص بعوامل التفاهم والتعاون، تاركين المسائل الأخرى للمحورين الأخيريين من هذه الدراسة. وهذا لأسباب منهجية وعلمية، ولو أن هذا التقسيم هو كل متكامل.

لكن ما يمكن الإشارة إليه هنا، أن لكل حوار مجموعة من القضايا، وهي مرتبطة أساسا بأطراف الحوار والمحاورين أنفسهم من ناحية، وبخطاباتهم وأطروحاتهم ورؤاهم من ناحية أخرى. ناهيك مركزية أو جوهرية الحوار نفسه من ناحية ثالثة. فإذا كان الحوار يجري — كما هو الآن — في ظل

قضايا دولية مهيمنة على العالم كالدعوة إلى النظام العولمي وقتل الهويات، فتكون قضايا، منصبة حول الترويج إلى مقولات « نهاية التاريخ»، و« صدام الحضارات»، ومن ثم قتل الحوار أصلا ...

وإذا كان الحوار يجري كما هو الآن في جزائر الأزمات واللا إستقرار، فيصبح مجرد حوار تضليلي وتمييعي لا طائل منه. لأن قضيته الجوهرية هي التظاهر بالحوار ولو على حساب الحقيقة أو الإلتزام بالتطبيق .. وهنا أسال السؤال الآتي: أين توصيات ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر من التطبيق؟ وماذا يعني إغراق الجزائر بمئات الملتقيات المشبوهة وتقيم بعض الملتقيات الجادة، رغم قلتها ؟؟

وعلى ضوء ذلك، لا بد من التعمق في تحليل مضمون الخطاب السياسي والإعلامي الخاص بالحوار، سواء على مستوى الساحة الدولية، أو سواء على مستوى الساحة الوطنية. مع ربط ذلك بفحوى الخطاب الحضاري والثقافي والديني لكل شعب وأمة. ومقارنتها بالواقع المعيش. علما بأن الخطاب قد يكون رسمي، وقد يكون علمي، وقد يكون شعبي ... وقد يكون في حالة التحضر مزيج بين هذه الخطابات الثلاث.

وما تجدر الإشارة إليه أيضا، أن طبيعة الحوار تتحدد من خلال إطار الحوار نفسه: هل يتم في الإطار الرسمي، أو غير الرسمي؟ ... في الإطار الوطني، أم الدولي؟ ... ولو أن الحوار المثمر هو الذي يرسم بدقة دوائره التي يتحرك فيها، سواء على المستوى الوطني، أو الإقليمي، أو الدولي من ناحية، وتوظيف الخطاب الرسمي – العلمي – الشعبي من ناحية ثانية. وهنا يكون المجتمع في أوج إزدهار الحضاري والثقافي والعمراني ...

كل هذا ما يساهم إلى حد بعيد في رسم أرضية الحوار التنويري لا الحوار التضليلي، الذي يعد عامل مهم في التفاعل والتقارب بين الحضارات. الآن ماذا عن دور عامل الترجمة والنقل في إثراء الإلتقاء وتسهيل التعامل ؟؟

2) - دور عامل الترجمة في إثراء الإلتقاء وتسهيل التفاعل:

سأحاول أن أتناول هذه الموضوع الواسع والمعقد في آن واحد من ناحية إرتباطه بموضوع تفعيل الحوار وإيجاد قنوات علمية للتفاهم بين الثقافات المتباينة، تاركا الأمور الفنية والمهنية لأهل الإختصاص في علوم الترجمة واللغات الأجنبية. ولو أنني من حين لآخر أسترشد بآرائهم المفيدة في ترشيد الحوار وتفعيله.

إن الترجمة سلاح ذو حدين كما يقولون. فقد توظف حركة الترجمة والتعريب والتأليف في نقل الكتب من لغة إلى لغة أخرى، بكل أمانة علمية وأخلاقية، كما سنرى لاحقا. وقد توظف في إتجاه آخر لتشويه الحقائق العلمية وخلق بلبلة في تحديد المفاهيم والمصطلحات، خاصة في هذا العصر الذي يعرف زخم في المنظومة المعرفية والتقنية ... حتى أن البعض إعتبر الترجمان خائن (لروح النص) وليس المجال هنا لذكر آلاف الأمثلة في ذلك، ولكن لا بأس أن أتوقف عند إحداها ...

في ليلة 17.11. 1987 ألقى المستشرق الفرنسي جاك بارك «J. Berque » (توفي 1995)، بقصر الثقافة بالجزائر العاصمة، محاضرة تحت عنوان: « الإسلام والبحر الأبيض المتوسط»، وباللغة الفرنسية القحة،

وهو يتقن جيدا اللغة العربية وحتى اللهجات البربرية والشلحية بحكم مولده في فرندة ... وله صولات وجولات لخدمة الإستشراق الذي أرسى دعمائه أساتذته أمثال لويس ماسنيون «Louis Massignon» (1883 – 1962)، وإرنست رنان «Ernest Renan» (1823 – 1892) وغيرهم ...

المهم، راح يسرد في أفكاره الخطيرة دون نقاش وحوار فبعد تقيم الإسلام في الأطروحة المتوسطية .. ذكر يوناني إسمه « بارمينيد » « Parménide» (504 ق.م – 450 ق.م) وهو فيلسوف وشاعر إغريقي مهتم بعلم الكائنات وما وراء الطبيعة، وبدأ يقارن أقواله بأقوال الله في القرآن الكريم !! ... وذكر سورة النحل الآيات 4،3، إلى 16 ... ثم سورة الأنعام ... وكأنه يريد قرآن بنص القرآن بين الغرب والإسلام، كما ذهب إليه أحد الزملاء الذي حضر معي المحاضرة ... بل وكأنه يريد أن يقول أن محمد (ص) مجرد ناقل لفيلسوف مغمور ... والحقيقة التي غابت عن الحضور المبهور بهذه الأفكار الهدامة، أنها من أفكار عالم الإسلاميات البروتستاني « دنك بلاك ماكدونلد»« D.B. Macdonald» وهي وجهة النظرية التقليدية المسيحية التي ترمي إلى أن الإسلام عبارة عن هرطقة وبدعة، وما محمد (ص) إلا ناقل لتعاليم « آريوس/بارمنيد » ... وهي نفس المقولة التي يروج لها « جاك بارك» الذي يقال بأنه صديق العرب والمسلمين[81]، وحتى لويس ماسنيون الذي حاول أن يقول لنا في أطروحته الجامعية عن الحلاج الحسين بن منصور (244 – 309 * 855 – 922م)

بأنه هو البطل الأعظم للإسلام وليس محمد[82] !! ... وكذلك الأمر عند المتأثرين بهم هنا وهناك، حتى أن أحدهم يعتبر التوحيدي، أو إبن مسكويه، هو نموذجه – مع تحريفه – دون الآخرين ...

والحقيقة هذه الفكرة التضليلية لقد أشار إليها القرآن الكريم، كما حاول أهل الشرك والإلحاد التشكيك في الوحي. يقول الله عزوجل: « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين». سورة النحل – الآية: 103 ... وسواء كان هذا الشخص النكرة إسمه « جبر»، أو « يعيش»، أو « بلعام». (أو عند جاك بارك بارمينيد) – فهو كذب وإفتراء وبهت .. (إرجع إلى تفسير إبن كثير، ج4، بيروت: دار الأندلس، 1983، ص 226 – 227)[83] ... ثم ألم يخبرنا القرآن الكريم بحال المكذب الزنيم: «إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين» سورة القلم الآية15.

وما كنت أشير إلى ذلك – كما سنرى لاحقا في باب الإستشراق – لولا خطورة وتحريف القرآن الكريم من خلال ترجمته له، من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية ... ولذا فإني أحذر القوم من هذه الترجمات الخطيرة والمضللة... لا على مستوى النص الحرفي فقط، بل وعلى مستوى التعمق في جوهر النص ... خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالكتاب المقدس للمسلمين العرب ... وعليه، فإني أضم صوتي إلى صوت الجراح الفرنسي المسلم « موريس بوكاي» بأن فهم روح القرآن الكريم لا يتم إلا باللغة العربية، لأن هذه الأخيرة هي شرط أساسي وضروري للإسلام، كما يقول العلماء

والفقهاء... فأين أنتم من هذا يا دعاة الإسلام والحداثة وتسامح الإستسلام ... وعليه، فتعلموا أولا لغة القرآن الكريم، ثم بعدها تعلموا لغات الغير لتجنبوا من مكرهم الظاهري والخفي ... ولتفيدوا ونستفيدوا ... يقول الله عز وجل: « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» سورة يوسف – الآية: 2 ... نعم لعلكم تعقلون أو تتدبرون في معانيه الخالدة والساطعة إلى يوم الدين ...

إذا، من خلال هذا المثال الحي- وغيره – نستنتج بأن المشكلة لا تكمن فقط في صعوبة تقنيات الترجمة، ولكن الترجمة كانت لغرض آخر .. وبالتالي كيف يمكن إجراء حوار مع الغير إذا كانت مصادره إستشراقية – تبشيرية – تضليلية ؟ ثم ما معنى أن كلام هذا «البارمنيدي » هو نفس كلام القرآن (أستغر الله) ؟؟!

وما يقال عن ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، يقال بشأن الحديث، والرأي بمختلف مدارسه. وربما أيضا يصح ذلك على بعض الترجمات والتعريب مع اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، إما للتضليل والتلاعب بالعقول، وإما لتشويه المفاهيم حتى لا يقع حوار التفاعل والإحتكاك لخدمة الإنسانية قاطبة، وإما للبحث عن الثراء والكسب السريع ...

ولكن، في مقابل ذلك، وفي إطار دراسة خصائص الفكر الإسلامي الذي يركز على رسالة العلم بإعتبارها عبادة، ومن ثم ظهور الإحتكاك بالثقافات العالمية حسب التداول على الحضارات. برزت طرق وسائل تسرب الثقافات سواء عن طريق الإحتكاك المباشر، أو دخول سكان البلاد التي فتحت في

عملية الإسلام، أو عن طريق الإختلاط في المسكن ، وبناء المدارس، إلى جانب عملية النقل والترجمة، كما يقول الأستاذ أنور الرفاعي.[85]

ولعل بواعث النقل والترجمة في الإسلام، كما يقول المؤرخ الدكتور «عمر فروخ»، تعود إلى ما يلي:

1 ـ إحتكاك العرب بغيرهم من الأمم أطلع العرب على ثقافات جديدة.

2 ـ حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم ... في الطب والحساب ... إلخ.

3 ـ القرآن الكريم وحثه على التفكير وطلب العلم.

4 ـ العلم من توابع الحضارة فحينما تزدهر البلاد سياسيا وإقتصاديا، ويكثر فيها الترف ويستبحر العمران، تتجه النفوس إلى الحياة الفكرية، والتوسع في طلب العلم.

5 ـ رعاية الخلفاء للنقل والنقلة، فقد كان الخلفاء يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهبا، ثم إن الخليفة العباسي المأمون (170 — 218 هـ/ 786 — 833م) أنشأ «بيت الحكمة» وجمع فيها الناقلين، فأصبح نقل الكتب جزءا من سياسة الدولة[86] ... فأين نحن من ذلك، رغم نداءات العلماء والحكماء والمترجمين...؟ فها هو على سبيل المثال لا الحصر — أستاذ مالك بن نبي الشيخ « حمودة بن ساعي » (1902 — 1998م) يموت في كوخ و لا يجد حتى ثمن الدواء وشراء كتاب ...!؟ ... في وقت نجد فيه الجهال يتلاعبون بأموال الشعب.

ونتج عن حركة النقل والتعريب هذه، إتساع الثقافة العربية بما دخل عليها من ثقافات الأمم ومناحي تفكيرها، وإطلاع العرب على علوم كانوا في حاجة إليها كالرياضيات والطب، وأتاحت فرصة باكرة للعرب المسلمين مكنتهم من أن يؤدوا رسالتهم في تقدم الثقافة الإنسانية.[87] وهنا تكمن أهمية دور الترجمة والنقل والتعريب في تفاعل الحضارات وإحتكاك الثقافات. وفي هذا الصدد تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: « أن الترجمة كانت عامل حضاري .. لم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف والأقبية بعيدا عن النور والهواء، كلا، إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفن وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته وقد ترجموه ليس إلا لغة جامدة غريبة عن الشعب لا يفهمها إلا الخاصة كاللاتينية في الغرب منذ الثامن الميلادي، بل ترجموه إلى لغة حية في كل مكان آنذاك، هي لغة القرآن ... لقد بدأت الحركة الثقافية مبكرا حتى أيام الأمويني حوالي 687 م من طرف الأمير الأموي خالد بن يزيد (توفي 85 هـ /704 م). وقد جعل العباسيون في بغداد هذا الميدان الكبير في خدمة العقيدة والدين ... وهذا منذ عهد المنصور (95 – 158 هـ/714 – 775م)، وهارون الرشيد (170 – 193 هـ/ 786، 809م)، والمأمون، وغيرهم... .[88] »

ونفس الشيء يذهب إليه المؤرخ والصحف والأديب جرجي زيدان (1278 – 1322 هـ/ 1861 – 1914م)، في كتابه «تاريخ التمدن الإسلامي»، ص 384 ، قائلا: « إن العرب في القرون الوسطى كانوا حملة

العلم والعرفان إلى بقية أنحاء العالم، وبينما كانت أوروبا غارقة في أشد دياجير الجهل ظلاما كان الخلفاء في بغداد عاصمة ملكهم وقد بلغوا أعلى شأو في المدنية والعرفان لأنهم كانوا ملوكا لمهالك عظيمة تمتد من نهر الغنج إلى المحيط الأطلنطي غربا حيث توجد طنجة ... وبفضل سهرهم (يعني خلفاء قرطبة) على العلوم أصبح أطباء العرب وفلاسفة قرطبة حملة راية العلم في العالم».[89]

ومن هنا برز الشغف بالكتب والمكتبات (حيث أن أول مكتبة عامة في الإسلام أسسها « منصور بن نوح»، ملك بخارى وما وراء النهر)، وبناء المدارس، والزوايا، والحوزات، في العديد من المدن الإسلامية كدمشق، وبغداد، والقاهرة، وفارس، وخرسان، والأندلس، ومراكش، وبجاية، وبخارى، والقيروان، وإسطنبول، وغيرها ... وكان من شرائط الترجمان كما يقول الجاحظ عمرو بن عمر (163 — 255 هـ/ 780 — 869 م) في كتابه «الحيوان»: « ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، وفي وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلى الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية ...».[90]

وكان للنقل والترجمة طريقتان، لفظية تهتم بالترجمة الحرفية إنتهجها «يوحنا بن البطريق» « وعبد المسيح بن الناعمة الحمصي». وهناك ترجمة معنوية — وهي الأهم — تهتم بالمعنى دون التقيد بالترجمة الحرفية وبدأها حنين إبن إسحاق (194 — 260 هـ/ 810 — 873 م)، و«الجوهري»، و«ثابت بن قرة» و«الكندي» (185 — 260 هـ / 796 * 873 م)، وغيرهم ...

وبفضل «بيت الحكمة» – وهي تشبه اليوم الأكاديميات العلمية الكبرى — التي وصفها إبن خلدون بأنها كانت من أبرز الحوادث التي وقعت في العصور الوسطى، لقد كانت مجمعا علميا، ومرصدا فلكيا، ومكتبة عامة، وكذلك « دار الحكمة» في زمن الحاكم بأمر الله، والتي سماها إبن خلدون « بدار المعرفة» أو « دار العلم» و« مكتبة العزيز» في القاهرة في زمن «العزيز بالله»، ومكتبة قرطبة في عهد «الحكم المستنصر»، ومكتبة « سيف الدولة»، والخزائن النورية بدمشق، ومكتبة أبي الفداء بحماة، ومكتبة « نوح بن منصور» في بخارى، ومكتبة « سابور بن أردشير » وزير بهاء الدولة بن بويه، ومكتبة المدرسة النظامية لنظام الملك الطوسي (408 — 485 هـ/ 1018 — 1092 م)، وغيرها ... برزت النهضة العلمية العالمية في جميع أصقاع العالم. فها هو المستشرق لويس غاردي« Louis Gardet» يقول بشأن بيت الحكمة في بغداد: « لقد كانت نوعا من الفتح الفكري، الذي بلغ ذروته في صورة من صور النشوة الأدبية العلمية بين رجال الفكر». أما « سيموندي» فيقول: « أن مدرسة بغداد لم تسهم في بعث أوروبة فحسب، بل أثارت الفكر في آسيا أيضا ... إلى وقت لا حق».[91]

وهاهو الفيلسوف الصوني الفرنسي المسلم « يحي عبد الواحد» (روني قوني سابقا) يذهب أبعد من ذلك، إذ يقول: « إن العرب هم مؤسسو الكيمياء التجريبية، وكذلك الطبيعة العلمية والجبر والحساب وحساب المثلثات، وعلم طبقات الأرض والإجتماع وغير ذلك من مختلف العلوم وغالبا ما سطا عليها اللصوص ونسبوها إلى أنفسهم ... هذا جزء من كل من أثر

الثقافة الإسلامية العريقة في الغرب »[92] نعم، كانوا أساتذة الغرب بدون منازع، حتى أن البعض منهم سطا على إنتاجهم ونسبوه إليهم، ولولا ضيق المقام لذكرت مئات الأمثلة في ذلك ... أليس علم البصريات من وضع العالم « أبو علي محمد بن الحسن البصرى المعروف بإبن الهيثم» (345 – 430 هـ/ 965 * 1038 م) قبل العالم البريطاني « Roger Bacon» (1220 – 1292 م) ؟ ونظرية الدورة الدموية للعالم « علاء الدين إبن نفيس»(607 – 687 هـ/ 1210 * 1288 م) قبل « وليام هارفي» «William Harvey» (1578 – 1657 م) ؟ وإختراع علم الإجتماع من طرف «عبد الرحمن إبن خلدون» قبل دور خايم إميل ؟! وإستعمال الرموز والإشارات من طرف العلماء العرب قبل الشاعر الإيطالي «دانتي ا.» «Danté A.» (1265 – 1321 م) ... الخ إن الفضل لمن سبق لا لمن سرق ... فأين هي الأمانة العلمية في نقل الأفكار للعالم ؟؟ أليس هذا سطوا كما يقول العلماء النزهاء ؟! أقول هذا لأن بعض الجهلة، يحاولون تقيم دور الحضارة العربية الإسلامية في النقل وقول الشعر فقط ! !

إذا، كانت الترجمة والنقل في الحضارة العربية الإسلامية عامل حضاري لإنقاذ الإنسانية من دياجير الجهل والظلام، وهذا بإعتبارها أداة من الأدوات الأساسية في الحركة الثقافية والعلمية. لكن، إذا قرنا هذا بما يجري اليوم في العصر الحديث فإن رسالة العلم تغيرت، ومن ثم تغيرت أهداف الترجمة. وربما يعود السبب في ذلك إلى غياب صدق النظر وسعة الإطلاع والتحلي بالنزاهة والإستقامة في الأخلاق والتقيد بالأمانة العلمية،

دون أن ننسى إشكالية إحتكار العلوم وفرض الهيمنة اللغوية والفكرية من الغير.

فمن الذي جعل شيوخ « حنين بن إسحاق»، و«ثابت بن قرة»، «والحجاج بن مطر»، وغيرهم ... أكثر نزاهة ومصداقية من ترجمات « لويس ماسنيون»، و«جاك بارك»، و« شارل بيلا» .... إلخ ... لنقارن بين ترجمة سعيد بن يوسف الفيومي (توفي 330 هـ) لأسفار التوارة — وبغض النظر عن تعدد الآراء بشأنها — وبين ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية من طرف جاك بارك (حيث ترجم القرآن عام 1990 تحت عنوان غريب ومريب «نحن نقرأ القرآن» «En Relisent le coran» ؟؟ ... وكأنه يقول أنا الكاثوليكي المستشرق أقرأ القرآن على الطريقة البارميندية ؟! ...وتمنيت لو قرأه على حقيقه كما فعل « عبد الحق شمبرينو »، أو « عبد الهادي ايفان جوستاف»، أو الشيخ «عبد الواحد قينو»، أو « موريس بوكاي » ... وغيرهم.

والغريب في الأمر — ورغم الحصار العلمي المفروض على الأمة العربية الإسلامية، خاصة في مجال التعريب — نجد سياسات ثقافية غربية تعرض عليك سياسة في التعريب، وحتى في نوعية نقل الكتب المترجمة، بما فيها كتابه لهجاتنا بحروف أجنبية ؟! أليس هذا نوع من الإختراق الحضاري وتجهيل الشعوب وإحتكار العلوم ؟!.

يقول العالم الفيزيائي الأستاذ الدكتور أنطوان زحلان، بشأن العلم والثقافة والتعريب: « ... والكم والمتراكم من المعرفة العلمية الدولية أخذ

بالتوسع بفضل إنفاق حوالي 500 مليار دولار سنويا على البحث والتطوير في مختلف أرجاء العالم. وبما أنه يترتب في الواقع نقل كل المعلومات إلى لغات أجنبية فإن التحدي هو كيف يمكن تنظيم عملية الترجمة والنشر؟ وشددت دراسة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: إستراتيجية شاملة لثقافة عربية على الأهمية الحاسمة للنشر والترجمة بالنسبة إلى التنمية الثقافية في الوطن العربي ... والمشاكل المتصلة بالترجمة والنشر هي مشاكل ما ورائية لأنها تعتمد على قرارات سياسية تقع خارج ميدان العلم. ومع ذلك فإن هذه القرارات حاسمة لتقدم في الوطن العربي»[92] علما — وهن الخطورة — أن تلك القرارات السياسية تأتي من وراء البحار ...

وما يقال بشأن العلم والدين والثقافة بصفة عامة، يقال عن هوية وأهداف الترجمة ذاتها، هل هي أداة للتفاعل والحضاري الإنساني الهادف، أم هي مجرد لترسيخ ثقافة « الضربة الغربية» التي شبهها المفكر الكبير «جلال آل أحمد» بالإسهال، أو في أحسن الحالات بضربة شمس خطيرة؟ وهل هي أداة حوار وإتصال وتفتح، أم هي أداة لعولمة التفكير وفرض الرأي الأحادي ؟؟

كذلك، لا بد من تفعيل وتجديد دور المجامع العربية الإسلامية التي أوكلت لها مهمة التعريب والنقل في شتى الميادين العلمية والتقنية، مع تشجيع الهيئات المختصة في الترجمة وتعليم اللغات. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور « عبد الملك مرتاض» الرئيس الأسبق للمجلس الأعلى للغة العربية: « ... إن خطة علمية، قومية لا قطرية — لأنها لغة جميع العرب

(والمسلمين) — تسعى إلى تحقيق هذه الغاية، وإلا بندب الجامعات ومراكز البحث والمجامع وكل الهيئات المعينة برقي العربية إلى هذه المؤونة الحضارية العظيمة»[94] لكن، هاهو رئيس الدولة الفرنسية يدعو إلى التعاون مع هذا المجلس، من خلالها جامعاتهم ومراكزهم وثانوياتهم الدولية لإفراغ اللغة من محتواها الروحي والحضاري ؟؟ ...

إن مشكلتنا ليست لغوية أو تقنية، بل هي مسألة جوّانية نفسية مرتبطة بالعمق الحضاري لشخصية الإنسان العربي المسلم، وبالتالي فهي مسألة حضارية نفسية تاريخية بالدرجة الأولى. وإلا كيف نفسر أن ترجمات كتب العرب، ولا سيما الكتب العلمية، ظلت المصدر الوحيد، تقريبا للتدريس في الجامعات الأوروبية لمدة خمسة أو ستة قرون، ويمكننا القول بأن تأثير الغرب في بعض المجالات، كالطب مثلا، دام إلى نهاية القرن 19، حيث كانت لا تزال تشرح كتب « إبن سينا» (380 — 428 هـ / 980–1073 م) في جامعة موبلييه. وبلغ تأثير العرب في الجامعات الأوروبية من الإتساع ما شكل أغلب المعارف ... كما يذهب إليه الباحث زكا نجيب ...[96]

أجل، شمل أغلب المعارف من فلسفة وإجتماع وسياسة وإقتصاد ورياضيات وطب ونفس، حتى أن كتاب « أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين المقريزي» (توفي 845 هـ / 1442 م) «شذور العقود في ذكر النقود» لا يزال من الكنوز النادرة في مكتبة لندن ... دون أن ننسى كتبه الأخرى كـ « السلوك لمعرفة دول الملوك » و« المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار » ...

وهاهو كتاب أحمد بن ماجد (ظهر في القرن 6 هـ / 15 م): «الفوائد في أصول البحر والقواعد» يعتمد عليه في إكتشاف القارة الأمريكية. وحسب الدراسات العلمية فإن القائد الملاح البرتغالي « فاسكو دوغاما» « Vasco de Gama» (1469 – 1524 م) إعتمد عليه كثيرا، خاصة في مجالات التقنيات البحرية المستعملة كالإسطرلاب والمغناطيس[96] ...

وصفوة القول، إن سلاح الترجمة و النقل، يمكن أن يكون أداة فعالة للتعاون والحوار والتفاهم، كما عرفنا ذلك في زمن أوج الحضارة العربية الإسلامية، كما يمكن أن يكون أداة لتشويه الحقائق وتضليل الحوار ذاته. وعليه فإني أنبه إلى خطر العولمة على اللسان العربي – بما فيها الألسن الأخرى غير اللسان الإنجليزي – الأمريكي – أمر في غاية الخطورة أو التحدي، لأن فناء الأمم وحضارات الشعوب – كما تؤكده دروس التاريخ لا يتم إلا من خلال إزالة القيم الحضارية والثقافية والدينية، وعلى رأسها الدين واللغة والتاريخ ...

وكل هذا يتطلب وضع سياسة دولية لحوار الثقافات واللغات، خاصة أن اللغة العربية تعد من بين اللغات الست المعّرف بها في منظمة الأمم المتحدة من ناحية، ناهيك عن مكانتها الحضارية والدينية والثقافية بين اللغات العالمية. فيوجد اليوم – رغم الحصار على لغة الضاد – ما يزيد عن 85 لغة حروفها تكتب باللغة العربية ... أما تعريب الطب في سوريا الشقيقة بدأ في عام 1921 ... لكن، كل هذا لا يكفي بحكم الهيمنة الثقافية المضروبة على العالم الإسلامي العربي ...

إذا، هنا يمكن الحديث عن الترجمة كعامل حضاري، وكجسر للحوار التنويري الهادف .. لا كعامل همجي وتضليلي ... أليست الترجمة كسلاح ذو حدين ؟ أليست اللغة أحد الركائز الأساسية لإنيات الأمم والشعوب؟؟

فمتى تكون الترجمة كعامل أساسي في إثراء الإلتقاء، وتسهيل التفاعل، وفهم الآخر جيدا ؟ هذا يكون عندما ننطلق جميعا من الحوار الحضاري التنويري الحي والمشار إليه سابقا ... ربما يكون اليوم، ربما غدا ... المهم، لا بديل للإنسانية من هذا الأسلوب الحضاري الذي يقيها من ويلات الحروب والنزاعات والصدمات الهمجية ...

3) ـ أهمية العلاقات الثقافية وتبادل الزيارات العلمية في العالم

كما هو معروف لدى الجميع بأنه لا يمكن أن يكون هناك اتصال تفاعلي بدون إعطاء أهمية للعلاقات الثقافية. والتي أصبحت اليوم من أولوية الأوليات في نجاح أو فشل العلاقات الدولية والدبلوماسية. وبالتالي إعطاء أهمية للدبلوماسية الثقافية من ناحية، والإستفادة من المنظمات الثقافية العالمية (الرسمية وغير الرسمية) من ناحية ثانية، وتحديد المنطلق الحضاري لكل أمة من ناحية ثالثة.

وإذا كانت العلاقات الدولية تنتمي إلى الدراسات الإجتماعية والإنسانية بحكم طبيعتها، فكذلك العلاقات الثقافية والعلمية. وعليه فإننا نقصد هنا بالعلاقات الثقافية الدولية، أي تلك العلاقات بين الوحدات البشرية (بمعنى الدول والأمصار الدولية) ... وبغض النظر عن إختلاف المناهج المتباينة في تناولها ...

والسؤال الجوهري الذي يطرح بصدد الحوار بين الحضارات هو كيف يمكن أن تكون هذه العلاقات الثقافية الدولية فاضلة أو مثالية أو أخلاقية ؟؟

كنا سابقا عرفنا الثقافة بأنها تعلم الحضارة، وهي نقيض الهمجية، كما أنها التفاعل بين الإنسان وبيئته، سواء كانت البيئة الحضارية، أو سواء كانت البيئة الإنسانية ككل. وهكذا أصبحت العلاقات الثقافية تركز على التفاعل بين الإنسان – كإنسان – وبيئته السياسية. ثم ظهر الإهتمام الدولي بالبرامج الثقافية، داخليا وخارجيا. لأن لا معنى للدبلوماسية السياسية في غياب الدبلوماسية الثقافية، التي أصبحت – من خلال الملاحق الثقافية والإعلامية والمراكز الثقافية – الركن الأساسي في إنجاح العلاقات السياسية والإقتصادية، بما فيها طبعا الحوار المثمر الذي يؤدي إلى التعاون والتعايش في كنف السلام والأمان والعدل ...

من هنا يفترض وضع مشروع ثقافي – حضاري – ديني للأمة العربية الإسلامية، على غرار ما يفعله الغير، ومن خلال الإنسجام بين الخطاب العلمي – الشعبي – الرسمي الموحد من جهة، والنضال الدؤوب لتحقيقه من جهة ثانية.

إن تشويه الثقافات العالمية من خلال أطروحات المواطنة العالمية المضللة «Cosmopolitisme»، والماسونية، والإختراق الثقافي بإسم التفتح وعولمة التبادل العلمي المزعوم، وقتل الهويات، هو الذي أدى اليوم إلى غياب الفعالية الثقافية العالمية، ومن ثم تغييب الطرح الحضاري العالمي الإنساني، وتهميش الثقافة التوحيدية في العالم. وللقضاء على ذلك لا صفر

من إنتهاج الثقافة التوحيدية الأصيلة ووضع حد لهذه العقلانية التغريبية المفلسفة. فالمشروع الثقافي الغربي هو طريق الإفلاس التام، لا لشيء إلا لأنه فصل بين ثقافة التوحيد (أي البعد الروحي) وثقافة العمل (أو البعد الدنيوي) من خلال دعوته العلماونية والتظاهر بالدفاع عن القيم والروحية للديانات الإبراهيمية ... فأين هي تعاليم السيد المسيح من هذه المادية المدمرة؟ وأين هي رسالة الديانة التوارية من همجية الصهيوني؟ وأين الروحانية الحنفية التي جاء بها قبلهم خليل الرحمان إبراهيم، وبعدهم خاتم الأنبياء محمد (عليهم جميعا الصلاة والسلام) ؟؟ وفي هذه الصدد تقول الباحثة الجادة « زينب إبراهيم»: « إن الفصل ما بين الديني والدنيوي أو بين ثقافة التوحيد والتوحيد العملي واقع له جذوره التاريخية التي عمد الحكام المسلمون إلى ترسيخها من أجل الحفاظ على مصالحهم وتوكيد ملكهم والإستشار بالسلطة، وتابعهم على التأسيس لهذا الأصل الحركات الإستعمارية بأدواتها الإستشراقية والتبشيرية. إضافة إلى بعض « المتعاملين» المسلمين الذين إنبهروا بالغرب وراحوا ينفخون بأبواقه ويروجون له ... ».(97)

إن العلاقات الثقافية التي تجرى اليوم في الديار العربية الإسلامية وبالتعاون السري مع الدوائر المشبوهة، جلها وضع بهدف تحقيق ثقافة التغريب والتدجيل والتجهيل والانحراف والفساد ... إنها الهرولة نحو الغربنة، أو على حد تعبير مالك بن نبي « القابلية الإستعمار»(بمفهومه الواسع) ... فمجرد قراءة المحتويات المنظومة التربوية والجامعية

والإعلامية يكتشف ما ذهبنا إليه ... ولذا، إما إعادة النظر جذريا في نوعية هذه الثقافات المزعومة التي تصنع في المخابر الأمنية والمراكز العلمية المشبوهة والثانويات الدولية والجامعات الحضارية (أمريكا/ روما / تل أبيب) وتنظيم البيت العربي الإسلامي ... وإما سنبقى إمّا عين تابعين للغير ... وإني أحذر الجميع أن أخطبوط الفرنكفونية — والعلوماتية قادم، إذا لم نتحد كرجل واحد ...

وعلى ضوء ذلك، يجب التصدي للمشاريع الثقافية التي تحاول جرنا جميعا إلى جحيم الفرنكونفية وسرداب الأنجلوفونية ... فماذا جنينا من هذه الهلنسيّة الفاوستية المتوسطة المظللة، والملحدة ؟؟ الجواب هو: الزيغ والتيه والضلال ...

إذا، لا يمكن أن تكون هناك أهمية للعلاقات الثقافية في تحصين الحوار الحضاري الحي بدون مشروع حضاري أصيل ومتجدد. وكذلك لا يمكن أن يكون هناك تبادل علمي وثقافي دون رص وتوحيد حصوننا المهددة من الداخل ...

أما بالنسبة للنوايا الحسنة التي نلمسها من خلال مبادرات بعض أهل الكتاب، فإني أقول لهم — ومن باب المحبة الأخوية وكلمة السواء بيننا — تعالوا جميعا لنحطم مادية هذه المدنية المزيفة، والتصدي للإلحاد والفساد، والوقوف من الأنظمة الإستبدادية مهما كان لونها وشكلها ... تعالوا لنتعاون جميعا لإرساء ثقافة التوحيد وتوظيف العلم والأخلاقيات العلمية للثقافة الإنسانية العادلة.

لكن، كل هذا مرتبط بالسياسة الثقافية المنتهجة هنا وهناك ... لأن «صناعة السياسة» كما يقول علماء العرب المسلمين الأوائل — تعني إلى حد كبير مؤكد « صناعة الثقافة». ولذا أكدنا على تحديد مصطلح الثقافة التي هي جسر للحضارة وتعلمها من خلال علوم الدين والعقل ... ولقد صدق « مالك بن نبي» لما حدد علاقة السياسة بالثقافة من خلال تصانيف ثلاث هي: الصنف الأول وهو يتصل بالثقافة التي نريد صنعها. والصنف الثاني وهو يتصل بـ « لا ثقافة » موروثة نريد تصفيتها. والصنف الثالث وهو يتصل بشيء نسميه « ما ضد الثقافة» وهو يفرض علينا أن نكون في إنتباه مستمر تجاهه.(98)

إذا، لا مفر من العودة إلى الذات الحضارية من خلال صناعة السياسة الثقافية التي تحدد علاقتنا مع الغير، وهذا يتطلب ثورة ثقافية في برامجنا الجامعية والتربوية والعلمية والإعلامية على أساس إيجاد معادلة تربط بين البعد الروحي والبعد المادي ... مع تحديد برامجنا العلمية مع الغير سواء على الصعيد المغاربي، أو القومي، أو الإسلامي، أو الإنساني ...

أما « اللا ثاقة (داخلنا)، و« ما ضد الثقافة » (خارجنا)، فكلاهما في رأيي لا يؤديان إلى حوار حضاري مثمر بين الشعوب والأمم. وعليه لا مفر من الدعوة إلى مشروع حضاري — ثقافي يكون في مستوى التحديات العالمية ...

وخلاصة القول، فبواسطة هذه الأرضية الفكرية الصلبة والمتفتحة في آن واحد، وإيجاد سياسة فعالة للترجمة والنقل والتعريب يكون منطلقها

حضاري إنساني، مع رسم سياسة ثقافية للعلاقات الثقافية الدولية، يمكن لنا المساهمة في حوار الحياة ... حوار إنقاذ الإنسانية من همجيات الصدام والإستبداد والإستبعاد ... وهنا تبرز أهمية دراسة عوامل الإختلاف بين الشرق والغرب للقضاء عليها وإيجاد البديل الإنساني، مع تقديم إقتراحات بناءا في ذلك، وهذا ما سنعالجه في المحورين الثالث والرابع والخاتمة.

المحور الثالث: عوامل الإختلاف والخلاف والتنافس بين الحضارات والثقافات والديانات:

لا شك أن عوامل الإختلاف أو الخلاف بين الشرق والغرب كثيرة ومعقدة، مقارنة بعوامل الإتفاق أو التفاهم، خاصة من الناحية العملية والميدانية. ناهيك عن النواحي النظرية والتاريخية والنفسية.

شيء طبيعي في ناموس الكون إذا كانت هناك مذهبيات فكرية تنافسية تحترم آداب فقه الحوار والصراع سواء كان هذا داخل البيت الإسلامي، أو سواء كان هذا عند الغير ، أو سواء — وهو موضوع بحثنا — على مستوى البيت الإنساني ككل. ولكن الشيء غير الطبيعي في الحوار عندما تكون هناك مذهبيات طائفية متزمتة من كلا الجانبين، أو فرض الرأي الأحادي المتمثل في نهاية التاريخ لصالح عولمة الفساد والإستبداد ... وللتوضيح هناك فرق بين الإلتزام والتمسك بالأصالة والتأصيل، وبين الإلزام والتزمت والتحجر الطائفي والرؤية الأحادية الضيقة ...

بل أذهب أبعد من ذلك إذا قلت بأن الصراع سيبقى بين أهل الخير وأهل الشر، بين دعاة العدل ودعاة الظلم، بين المؤمنين والملحدين ... إلى

أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولكن هذا لا يعني أبدا تبرير الواقع المزري، أو الترويج للفساد والإستبداد، ما دامت الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وفعل الأعمال الخيرة لصالح الإنسانية ...

المهم، إرتأيت معالجة موضوع الإختلاف بين الحضارات في النقاط الآتية:

1) ـ معضلة الأنا والغير، وقلة الإطلاع الجدي على ثقافة لآخر.

2) ـ معضلة الإستعمار القديم — الجديد.

3) ـ حركة الإستشراق والتبشير.

4) ـ إشكالية العولمة وتفويض العالمية.

1) ـ معضلة الأنا والغير:

لا شك أن موضع الأنية أو الهوية لكل أمة وشعب موضوع لا يحتاج إلى توضيح، وإلا فما معنى الحوار أو الصراع بين هذه الحضارات والإرادات؟ هذا إذا تغاصينا الطرف عن أساليب « ما ضد الثقافة» لقتل الهويات الحضارية ...

ولكن عندما ننادي بالعودة إلى الذات الحضارية للشعوب العربية الإسلامية، فهذا يعني ببساطة الدعوة إلى التأصيل والتمسك بالمقومات الحضارة والدينية من دين ولغة وتاريخ وتراث، دون الإنغلاق أو اللا تفتح على الغير، ومن منظور تجديدي لا تحديثي، وهناك فرق بين التحديث في إطار الدورة الغربية وبين التجديد في إطار الدورة العربية الإسلامية. ... وإلا وقعنا في دياجير المدنية المزيفة ...

صحيح أن مسألة التأصيل والتجديد مسألة في غاية الأهمية والتعقيد، خاصة إذا ما ربطنا بالأن والغير. أو كما عبرت عنه «ندوة إسطنمبول» في 2002/02/12 م، بالسؤال الآتي، من هو الآخر؟ وهل هو موجود حقا ؟

وبدون الدخول في الجدل النظري العقيم فالآخر هو ذلك « المختلف عني»، لكنه موجود سواء إتفقت معه، أو إختلفت منه، وعليه فلا مفر من الاعتراف به و إلا لجأنا إلى أسلوب الصدام ونفي الآخر. ويجب أن نفرق هنا بين النضال الثوري والجهادي من أجل تحرير الإنسان والأرض من المستدمر، وبين جريمة النزاع وإشعال فتن الحروب الهمجية لأغراض خاصة، كما يجري الآن على الأراضي العربية الإسلامية بحجة الزحف الأخضر (ويقصدون الإسلام) وتصنيف هذه الشعوب المستضعفة المغلوبة على أمرها بدول محور الشر واللاقانون ! !

يقول المؤرخ التركي « ايلبير أورتايلي» في ندوة إسطنبول المشار إليها سابقا: « أن مشكلة الإنسانية لم تدرس الآخر جيدا ... يتحدثون عن الديمقراطية لكنهم لا يحترمون الآخر ... فمثلا حركة الإستشراق في الغرب تدريس الآخر بأحكام مسبقة ».[(99)]

وهذه الشهادة العلمية التاريخية صحيحة إلى حد بعيد، لأن المعضلة التي تواجهنا جميعا تعود إما إلى قلة الإطلاع على ثقافة الغير، وإما — وهنا الخطورة — تعود إلى الأحكام المسبقة التي تصدر من علماء الإستشراق والتبيشير من ناحية، وإلى توظيف الديمقراطية وحقوق الإنسان لأهدافهم العلنية والبشرية من ناحية أخرى ... وكل هذا لن يؤدي إلى الحوار المثمر بين الحضارات والثقافات ... لأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما يقولون.

ولتجنب هذه الإشكالية الكبرى أدعوا إلى تغيير جذري في أساليب دراسة الغير من ناحية، كما إني أضم صوتي إلى صوت الأستاذ الدكتور حسن حنفي (من مواليد القاهرة في 13 — 2 – 1935) بإنشاء علم خاص بنا لدراسة الغرب يسمى علم التغريب من ناحية ثانية. لأن معظم الدراسات الإستشراقية في معظمها وضعت خلف الإستعمار والتبشير. ناهيك عن إستعمال ظاهرة الجهل المركب والمطلق للآخر، وكذلك لنحن ... وبهذه الطريقة يمكن إيجاد منهج علمي رصين وعلمي لتفعيل الحوار الحضاري الذي لا مفر منه.

2) معضلة الإستعمار القديم — الجديد:

كل الذين تناولوا بإسهاب موضوع سوسيولوجية الثورات المعاصرة والصراع الفكري في البلاد المستعمرة يؤكدون بمرارة ما عانته وتعاينه الإنسانية من ويلات الإستدمار والحرب ...

وهاهو الإستعمار القديم الذي رفع يافطة المدنية والتحضر المزيف ينتقل إلى أسلوب جديد وماكر، وربما أخطر من الأول، لكون بىبساطة يؤمن بفلسفة قتل الهويات تارة بإسم العولمة، وتارة بإسم نهاية التاريخ، وتارة أخرى بإسم الصدام بين الحضارات، وكلها أفكار تؤدي إلى الهيمنة والتبعية والتخلف والتغريب والإختراق ...

إن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: كيف يمكن إجراء حوار جدي بين الحضارات والثقافات في ظل الإستدمار القديم — الجديد المتبنى من طرف الدول القوية، ومن ورائها الإستعمار الثقافي — الديني (من خلال دور الإستشراق — التبشير)؟ وكيف يمكن طي صفحات تاريخ الشعوب المستدمرة

دون الإعتراف – قولا وعملا – بالجرائم الإنسانية المرتكبة بإسم التمدن والتحضر والتدين الصليبي؟ وكيف يمكن إجراء حوار الحياة والكيان الصهيوني – وبمباركة زعيمة الغرب أمريكا – يقضي على حياة الأطفال والنساء والشيوخ ؟ وما معنى المصالحة التاريخية وإجراء حوار بإعتراف «الحركة» الذين خانوا الوطن والشعب ؟ وأي حوار هذا الذي يدعيه الغير والشعوب العربية الإسلامية ترزخ تحت نير التخويف والتقتيل والتجويع والهيمنة ؟؟

إن مجال التعاون والحوار لا يمكن أبدا أن يكون بين لأنا والآخر في ظل ما يسمى بالوجه الأوضح لإنتماء الجزائر – (أو غيرها من البلدان العربية الإسلامية) – إلى الأسرة الفرنكفونية[101] (أو الأنجلوفونية)، لأن هذا هو الإستعمار الجديد بعينه ... وعليه فهذا تدجين للحوار السياسي المزعوم بين الأنا والآخر، بل لا أبالغ إذا قلت بأن رؤى الآخر للإسلام المتسامح والمتفتح هو في خدمة ثقافة الغرب، لأن الإسلام هو الإسلام ... ثم ماذا عن مسيحية التسامح، ويهودية التسامح ...؟؟ وهل إنشاء مجالس عليا للتعاون الجامعي والبحث في ظل الثقافة الفرنكفونية يعزز الحوار والتعاون .. ؟؟ ثم كيف نشحذ إهتمام العائلات والأبناء والشباب والخريجين الجامعين في ثقافة الآخر، ومن منظور فرنكفوني مهيمن ؟؟

إننا نثق بمستقبل الإنسانية لا من خلال هذه البرامج الرسمية المخطط لها في الدوائر المشبوهة، ولا من خلال الأطروحات المتوسطية والفرنكفونية والأنجلوفونية التي تكرس الإستدمار الثقافي الجديد ...

3) ـ حركة الإستشراق والتبشير:

من خلال قراءة متأنية في أدبيات الإستشراق والتبشير من ناحية، والإعتماد على الدراسات المعمقة لموضوع الإستشراق بسلبياته وإيجابياته — من ناحية أخرى، نلاحظ بأن الإستشراق والتبشير كانا وراء ظاهرة الإستعمار القديم والجديد معا. وبالتالي لا يمكن الإعتماد عليه في فتح الحوار الحضاري الإنساني. يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد الغزالي (1917 — 1996 م)، في كتابه « دفاع عن العقدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين»: « إذا كان الإستشراق قد قام على أكتاف الرهبان المبشرين في أول الأمر، ثم إتصل بعد ذلك بالمستعمرين، فإنه ما زال حتى اليوم يعتمد على هؤلاء وأولئك ولو أن أكثرهم يكرهون أن تنكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يختلفوا وراء مختلف العناوين والأسماء ...».[102]

وهاهي صورة الإنسان المسلم في المنظومة المعرفية الغربية ظلت كصورة نمطية ثابتة منذ قرون عدة وبالرغم من التبدل الذي طرأ على شكلها فإن الجوهر لم يتبدل، كما يذهب إليه الدكتور سعيد إدوارد.[103]

إن الإستشراق خطوة نحو السيطرة الثقافية والسياسية، والدليل على ذلك إرتباطه في بداية أمره بوزارة الشؤون الخارجية وكون معظم المستشرقين معتقدين للديانة اليهودية وحقودين على الإسلام مثل « صموئيل داود مرغوليوث »اليهودي المنتحر، وبعضهم الآخر من المبشرين أمثال الأب « لامانس ماسينيون» ... فمهما كانت الدراسات الاستشراقية موضوعية لا تستطيع أن تحدد مواضيع تفكيرنا ولا أساليب عملنا في المستقبل ...

والشيء الذي يبقى علنا أن نفعله هو إختيار مواضيع تفكيرنا بأنفسنا وذلك من أجل ضمان الإستقلال الفكري وتحديد نظرتنا ونظرة أجيالنا الصاعدة إلى التاريخ ... وإذا قلنا هذا كله، فلا يعني هذا بأننا ضد الحوار وضد التعاون، فلا يقول هذا جاهل فضلا عن عاقل، ولكن الحوار لا يكون أبدا إلا على أساس الإحترام المتبادل وعلى أساس إثراء التجربة الإنسانية بكل ما هو بناء عند الطرفين، ولا يعني الحوار الإخضاع أو الهيمنة أو الحديث من طرف واحد، كما أن التعاون إذا لم يكن مبنيا على الأخلاق الإنسانية الشمولية فلا فائدة من ورائه إلخ ... كما ذهب إليه « مالك بن نبي» في كتابه: « أعمال المستشرقين»،(104) أو كما ذهب إليه «أنور عبد الملك» في مناله الشهير عام 1969، تحت عنوان: «الإستشراق في أزمة» «L'orientalisme en crise» ... ثم لحقهما إدوارد سعيد في كتابه «الإستشراق»، عام 1978 ....

فكيف يمكن التعاون والتعاضد مع أمثال « لويس ماسنيون»، و«جاك بارك»، و«ألان روسيون»، و« لويس غاردي»، و«ماكسيم رودنسون»، و«كلود كوهين» .. ولهم أطروحات تضليلية على الإسلام وعلمائه ...؟؟ أما إذا كان التعاون والتعاضد مع «شمل أنا ماري»، و«زيغريد هونكه» و«غوستوف لوبون»، ناهيك عن الذين إعتنقوا الإسلام عن قناعة أمثال «غارودي» و«قينو الشيخ يحي عبد الواحد»، و«موريس بوكاي» إلخ ... فهذا هو الحوار الحضاري الحي بعينه. لأنه يرفض أساسا أسطورة تصنيف الذهنيات إلى ذهنية متحضرة، وأخرى بدائية ... أما أصحاب كتاب

الإستشراق بين دعاته ومعارضيه» الذي ألفه « محمد أركون وآخرون»، 1993، فإنهم يريدون إستخدام سلطة المعرفة لتمرير مشاريعهم المعروفة مسبقا ...

ولسنا هنا لإجراء تقويم للبحوث والكتابات التي قدمها المستشرقون، ولكن لنبين فقط بأن هناك من ساهم بقسط وافر في إحياء تراثنا العربي الإسلامي، حتى أن البعض منهم اعتنق عن قناعة دين الإسلام، وأصبح من المدافعين عنه بجدارة واستحقاق، وربما أحسن من مسلمي الوراثة ... إلا أن هذا التيار يبقى محدود الأثر، لأن التيار الآخر عرف كيف يربط بين الاستشراق والتبشير والإستعمار ... وهذا ما جعل الحوار بين الحضارات والثقافات دون المستوى المطلوب ....

فها هو شيخ المستشرقين المعاصرين « لويس ماسنيون» يدعو إلى حوار ظاهره العلم والتسامح، وباطنه الجهل والتمسيح ... ألم يكن صديقا للقسيس الكاثوليكي المستشرق شارل دي فوكو «Ch. De Foucauld» (1858 – 1916 م) وهو ضابط فرنسي نال جزاء القتل على يد الطوارق بصحراء الجزائر؟ ألم يكن هو نفسه ضابطا في المفوضية الفرنسية العليا في سوريا وفلسطين وكيليكية في الفترة الممتدة من 1917 إلى 1919، إلى جانب مهامه في تطبيق وتوجيه إتفاقية سايس بيكو ؟ وماذا عن أدواره المشبوهة في الجمعيات الفرنسية – العربية، والجمعية الفرنسية الإسلامية؟ وماذا عن كتاباته حول الحلاج ومقارنته بمحمد؟ ثم لماذا لم يتحرك لمساندة ثورة الجزائر إلا في آخر أيامه التي صادفت إستقلال الجزائر ؟؟ ...

وكل من يتأمل في كتابات علمائنا المعاصرين يؤكد هذه الحقيقة المتمثلة

في ربط الإستعمار بالإستشراق والتبشير، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، محمد إقبال، ومالك بن نبي، ومحمد البهي، ومحمد الغزالي، وجلال آل أحمد، وإدوارد سعيد، ومحمد حامد ربيع ، وهشام شرابي، وبديع الكسم، وربحي كمال، وهارون خان شيراوني، وكليم صدقي، ... الخ. بما فيهم بعض المستشرقين النزهاء الذين أشرنا إليهم آنفا ...

وهاهو أحد كبار أساتذة الإسلاميات في أمريكا وهو شارل جدرل «Ch. Geder» يقول: « إن الإسلام يملك جميع الخصائص التي تستطيع أن تنشر السلام والإنسجام في العالم، إن الغرب يؤمل من المسلمين الذين يحملون الدين الذي أنزل الله، وكان لهم ماض مجيد مشرق أن يقدموا مبادئ الحياة وفلسفتها إلى الغرب، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التي عينت لهم في عالم الغد».(105)

ولا يزال هذا الخطاب الحضاري الإنساني يدوي في العديد من المنابر، رغم الحملات الشرسة والمكثفة التي تشنها الصهيونية ومن ورائها المتطرفين الغربيين ضد الإسلام. خاصة بعد أن أحداث أمريكا في 2001/09/11 ... لكن كل هذا غير كاف لإجراء حوار حي ومثمر بين الحضارات والثقافات والديانات ...

أما بشأن التبشير فيمكن النظر إليه من زاويتين مختلفتين، من زاوية إقترانه بالإستعمار والصهيونية من ناحية، وهذا أمر مردود على أصحابه ... ويمكن النظر إليه من باب حرية الدعوة كدعوة لنشر الثقافة التوحيدية والبحث عن الحقيقة من ناحية ثانية، إن حركة التبشير في إطار الحوار يمكن: «أن تكون هنا وهناك حركة من أجل الحقيقة في هذا الدين ومن أجل

الحقيقة في ذلك الدين لا لحساب محور دولي هنا، وحساب محور دولي هناك، فيما لا يرتبط بمصلحة الإنسان ولا مصلحة القيم الدينية من قريب أو بعيد». (106)

لكن، يبدوا لنا — ومن خلال معاينة الواقع الدولي — أن الحركة التبشيرية المسيحية، وخاصة في بعض الدول العربية والإسلامية: كلبنان والسودان، ونيجيريا، وغيرها ... لا تتحرك إلا بأمر دولي مشكوك فيه، ناهيك عن التضييق وخلق المشاكل للجاليات الإسلامية ومعتنقي الديانة الإسلامية من طرف الغربيين أنفسهم ... وبهذه المناسبة إني أحذر القوم للحملات التبشيرية واليهودية في الديار العربية والإسلامية، وخاصة في الجزائر وفي بعض المناطق المعروفة في القطر الجزائري ...

لننظر الآن ما يجري للمسلمين في أمريكا وبريطانيا وفرنسا ... ثم هل محاولات تقسيم السودان إلى شمال مسلم وجنوب مسيحي في خدمة مصالح القيم الدينية والإنسانية، أم في مصالح الغرب والصهيونية؟؟ ثم لننظر ما يجري الآن في الجزائر، وغيرها ...؟؟

4) ـ إشكالية العولمة وتقويض العالمية.

لو طلب مني أن ألخص كلمة العولمة في جملة مفيدة و مختصرة وبطريقة مقفعية (نسبة إلى صاحب كتاب كلية ودمنة)(107)، فإني لن أتردد في وصفها بأنها — كم قال أحد الرؤساء: « مأدبة عشاء الثعلب على شرف اللقلق» ... أو قل: « مأدبة عشاء ثعلب الغرب على شرف حمل العرب ...»

وهاهو الفيلسوف العربي « طيب تيزيتي» (1938م) يعرف النظام العولي بأنه: « هو نظام سياسي وإقتصادي وثقافي وعسكري يسعى لإقتلاع الطبيعة والبشر وإلى تمثلهم وهضمهم ومن ثم تقيؤهم سلعا ... إنها الكونية السلعية الجديدة، أي الكزمو السوقية – السلعية ... أي الهوية التي عليها أن تقتلع كل الهويات التاريخية التي شكلت وأنجزت تاريخيا».[108]

ولا أخفي على القارئ الكريم أنني ذات مرة في بداية الثمانينات لما زار الجزائر[109] وألقى محاضرة بقاعة الكابرى حول مشروع رؤيته للفكر العربي والتراث، حاولت طرح عليه إشكالية الإختراق واليسار والانية ... إلا أنه كان غارقا في أطروحاته اليسارية والقومية ... بما فيه آنذاك بعض الزملاء والأساتذة الذين حضروا معي المحاضرة ... المهم هاهو اليوم يطرح المسألة من زاوية حضارية لتفعيل المشروع النهضوي العربي الذي يواجه العديد من الإشكاليات والتحديات، فيقول: « ... إن إشكاليتنا تتمثل في السؤال القديم: كيف تقدم الغرب وتراجعنا نحن؟ ...»، ثم يضيف قائلا: «... لكن المشكلة تعيش حال من التغير الهائل، هناك مشكلات جديدة لم تكن قائمة في حينه، على الأقل نستطيع أن نقول بأن النظام العالمي أصبح نظاما عولميا جديدا ... إن الشعار الأساسي هو «إعادة بناء العالم» وإزالة هذا النظام العولمي الجديد وخلق عالم فيه عوالم متعددة،، مما يعني بالخصوصيات ضمن عولمة جديدة بنمط جديد قادر على الإجابة عن المشكلات المطروحة ...[110]

أما الكاتب الاقتصادي «سمير أمين» فيقول بشأن العولمة: « ... لا بد من بناء نظام سياسي عالمي ... أي مشروع إنسانوي لعولمة تندرج في سياق رؤية جديدة ».[111] أجل. لا بد من بناء نظام عالمي جديد قائم على القيم الإنسانية والخصوصيات الثقافية ...إن كونية القيم تتداعى أمام المنطق اللاأخلاقي ... وبالتالي إن إعادة بناء الأخلاق باتت ضرورية، كما يذهب إليه كل من سيرج لا توش، ورجاء غارودي ....

وعلى ضوء ذلك، من المستحيل إجراء حوار بين الحضارات في ظل قتل الهويات وإفساد الأخلاقيات وتهميش الديانات. لأن من أطروحات العولمة — التي إعتبرها البعض أمر لا مفر منها بدون علم — هو تعويم الفساد السياسي — الأخلاقي من ناحية، وتحويل العالم الثالث إلى « مستودع كبير لفقراء هذا الكوكب»، كما يسميه الأستاذ الدكتور إسماعيل صبري عبد الله.[112]

وما يهمنا في الحوار الحضاري — في ظل العولمة وتفويض العالمية— هي المسألة الثقافية والإنية الحضارية، دون إهمال الأبعاد الأخرى التي تكملها. ويقول الدكتور « محمد عابد الجابري» بشأن خطورة أطروحات العولمة أنها:

1/ ـ ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات.

2/ ـ الهوية الثقافية (لها) مستويات ثلاثة، فردية وجمعوية، ووطنية وقومية والعلاقة بين هذه المستويات تتحدد أساسا بنوع الآخر الذي تواجه.

3/ ـ لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعتيها: جماع الوطن والأمة والدولة.

4/ ـ ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل هي أيضا وبالدرجة الأولى إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم.

5/ ـ العولمة شيء ، والعالمية شيء آخر. العالمية تفتح الثقافات الأخرى على العالم (وهي) إحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي. أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للإختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي.

6/ ـ إيديولوجيا الاختراق تقوم على نشر وتكريس جملة أوهام هدفها التطبيع مع الهيمنة والإستتباع الحضاري. (وهذه الأوهام هي) وهم الفردية، ووهم الخيار الشخصي، ووهم الحياد، ووهم الإعتقاد في الطبيعة البشرية التي لا تتغير، ووهم الإعتقاد في غياب الصراع الإجتماعي.

7/ ـ نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع للتفتيت والتشتيت، ليربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة، واللادولة، أو يغرقهم في أتون الحرب الأهلية.

8/ ـ العولمة وتكريس الثنائية والإنشطار في الهوية الثقافية العربية.

9/ ـ إن تجديد الثقافة، أي ثقافة، لا يمكن أن يتم إلا من داخلها بإعادة لأبنائها.

10/ ـ الحاجة إلى الدفاع عن هويتنا الثقافية.(113)

وهكذا في الوقت الذي نجد فيه العولمة (أو النظام العولمي) تطالب بوحدة الغرب حضاريا من خلال شعار« وحد تسد»، نجدها — وبإسم حقوق الإنسان والأقليات — تشجع العرب المسلمين على تطبيق الشعار الإستعماري « فرق تسد» ... يالها من مفارقة عجيبة.

إن حاجتنا للدفاع عن إنيتنا الحضارية ستلزم منا جميعا التصدي لمن يروج لتقويض العالمية وفرص عولمة الاستبداد والفساد ... كما تقتضي منا التفتح على الثقافات بعيدا عن عالم الإختراق الإرتزاق ... لأن لا يمكن إجراء حوار إنساني في غياب القيم الروحية والإنسانية والأخلاقية ... وهذا خطاب موجه للغرب ودعاة العصرنة هنا وهناك ... تم كيف للكنيسة أن تبارك اللبرلة المدمرة لروح الإنسان وقيمه.؟!

إن الإنسانية اليوم أمام مفترق الطرق، طريق يدعوا إلى الحوار، والمثاقفة، والإعتراف بالآخر، وحوار الحضارات، والتعايش، وكونية الأخلاق، والإنية ... إلخ. وطرق يدعوا إلى نهاية التاريخ، والقرية الكونية، والكوكبة، والإعتماد المتبادل، ونهاية الإيديولوجيات، والمتوسطية، والتطبيع، وصدام الحصارات (بل إلى صدام الهمجيات) ...

إذا، لا مفر من إعادة بناء العالم من منظور إنساني وأخلاقي وديني، وهنا يمكن أن يكون للحوار فعالية في إنجاح هذه الأهداف الإنسانية النبيلة والعادلة. أما في ظل النظام العولمي المدمر فيكون الحوار خوار، يصدر من رعاة البقر الذي لا هم لهم سوى عبادة المادة وطاغوت المدنية المزيفة.

وصفوة القول، لا بد من إيجاد حل لإشكالية الأنا والآخر من خلال الثقافة العالمية الموسعة والهادفة، لفهم الآخر (الذي هو كلنا)، وتجنب قلة الإطلاع والتجهيل التي تعكر جو الحوار الحي والمثمر بين الثقافات والحضارات. كذلك لا بد من التصدي – بحزم وعزم وجزم – لظاهرة الإستدمار القديم والجديد معا، مع كشف المؤامرات الدنيئة التي تقوم بها

الصهيونية وعملائها. ثم لا بد من إعادة قراءة نقدية وجريئة للحركة الإستشراقية والتبشيرية، سواء من خلال تشجيع الدراسات التغريبية والإجتهادية من داخل البيت الإسلامي العربي، أو سواء من خلال التعاون والتعاضد مع الدراسات العلمية العالمية النزيهة التي تحاول إرساء قواعد النظام العالمي الإنساني العادل ومواجهة النظام العولمي الفاسد والمستبد.

غيرا أن هذا الطرح الفكري متوقف على عامل سحب سلاح الدين والثقافة وللعلم من أولئك الذين تنازلوا لروح الزمن وباركوا الفساد المعولم، سواء كان هذا من طرف المتغربين الذين يدعون إلى العولمية الإسلامية!! أو سواء كان هذا من طرف الآخر الذي يحاول إستغلال الكنيسة — وغيرها — لصالح أهداف الكوكبة المدمرة.

أما كيف يتم ذلك؟ فبعد التشخيص والتحليل لموضوع الحوار بين الحضارات والثقافات والديانات، يأتي دور تقديم البديل الإستراتيجي لإرساء منظومة شاملة وكاملة للحوار الحضاري المثمر والحي، وهذا ما سنتناوله في محورنا الرابع والآخير من هذه الدراسة.

المحور الرابع، نحو رسم استراتيجية منظومة شاملة وكاملة للحوار الحضاري المثمر والحي

سأحاول في هذا المحور الأخير من هذه الدراسة الأكاديمية التركيز على الأهم بدلا من المهم، أو بعبارة أخرى سيكون تركيز منصبا على العناصر

الأساسية والمعالم الرئيسية التي تساهم في إرساء دعائم المنظومة الشاملة والكاملة للحوار الحضاري المثمر والجدي، أي إرساء إستراتيجية فعالة وشاملة لتفعيل إرادة الحوار بين الحضارات والتفافات.

إن أول سؤال نطرحه هنا، هل هناك فعلا شروط موضوعية وذاتية لهذا الحوار؟ أو بصيغة أخرى ما هي القواعد العملية والشروط الضرورية التي تتطلبها عملية الحوار ؟؟ أهو حوار في حوار ـ كما يزعم البعض أم هو حوار فعال ؟؟

إن الإجابة على ذلك تستلزم أولا التفريق بين عوامل الإلتقاء والتفاهم المشار إليها سابقا، والتي يمكن إدراجها في تفعيل الحوار الحضاري ونجاحه. وهذا ما سنقوم به فيما بعد... وكذلك بين عوامل الإختلاف والخلاف المتعددة، التي لا زالت واقفة بقوة ضد الحوار الحضاري والإنساني. وبدراسة مقارنة بين تلك العوامل يمكن تجنب المطبات والسلبيات التي تعترض الحوار من ناحية، وفي نفس الوقت يمكن القيام بتحصين الحوار وتدعيمه في ظل عالمية الطرح الحضاري الإنساني من ناحية ثانية.

وإرتأيت تناول هذا التطور الاستراتيجي للحوار الحضاري من زاويتين أساسيتين هما :

1) ـ تحديد الأهداف العامة للحوار.

2) وضع السياسات الأساسية لتحقيقه.

1) - تحديد الأهداف العامة للحوار:

بغض النظر عن الإختلافات المتابينة بشأن أهداف كل مشروع حضاري على حدى، يمكن النظر إلى تحديد الأهداف العامة للحوار الحضاري الحي فيما يلي :

أولا - إذا كان الحوار الحضاري التنويري ضرورة شرعية وعقلية وعملية ومستقبلية وإلزامية للإنسانية جمعاء، فيجب التركيز على النظرة التكاملية للحوار في تحديد أبعاده الدينية والثقافية والحضارية والتاريخية والنفسية من ناحية، والسعي الجاد لترسيخ القيم الروحية والأخلاقية للرسالات السماوية الإبراهيمية ومواجهة بؤر الفساد والإستبداد والإلحاد من ناحية أخرى.

ثانيا - جعل الحوار الحضاري في خدمة تحقيق أهداف السلام والتعايش والمحبة والرحمة وإرساء قيم الخير والعدل والمساواة، ونبذ الشر والحقد والضغينة...، لأن لا سلام عالمي بدون حوار، ولا حوار بدون حوار الديانات والحضارات والثقافات.

ثالثا - كذلك لا بد من تحديد الغاية من البحث عن الحقيقة. فإذا كانت الحقيقة من أجل الحقيقة فقط، أي الحوار من أجل الحوار، فهذا مجرد ترف فكري عقيم لا يخدم مصالح الإنسانية وقيمها الروحية. أما إذا كانت الحقيقة مطابقة للواقع، من خلال حوار العقل والقلب والبصيرة، فهذا سيؤدي حتما إلى التفاهم والتعايش بين الثقافات الإنسانية المتباينة. وللتذكير فقط أن المقصود بالواقع، لا الواقع التبريري، بل الواقع التغييري،

إنطلاقا من شعار " غير نفسك تغير العالم " . يقول الله عز وجل: « ... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... » سورة الرعد ـ الآية : 11.

رابعا ـ تحقيق العدالة الإجتماعية ومحاربة كل أشكال الإستبداد والإستبعاد. وهذا من خلال التعاون الدولي النزيه لمحاربة الفقر والمرض والجهل والجريمة والأمية. علما بأن هذا مرتبط بقضية بناء العالم وفقا عوالم متعددة، لا من خلال العولمة والرؤية الأحادية المهيمنة.

خامسا ـ التفكير في قيام ثورة ثقافية عارمة لتسيير حوار الحضارات، من خلال وضع فلسفة أخلاقية جمالية مستقبلية لتسيير الحوار، سواء كان داخل البيت الإسلامي، أو سواء كان داخل بيت الآخر. وهذا إعتمادا على توظيف علوم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الإجتماع الأديان، وعلم الإنسان، والفلسفة، وعلم السياسات المقارنة، وعلم الجمال، إلخ... مع وضع سياسة للعلوم والتقنيات لهندسة المستقبل الإنساني.

سادسا ـ أن يكون هدف الحوار بعيدا عن الإختلاف الصدامي، دون المس بمبدئي التنافس والصراع الفكري حول الأطروحات الحضارية المتباينة. أي أن يكون حوار حتى فيما نختلف عليه، ما دمنا حققنا بعض التعاون فيما نتفق حوله. وبالتالي، يمكن توظيف أطروحة الصدام الحضاري ـ كشكل من أشكال النزاعات الدولية ـ في إدارة الأزمات من خلال تجنب الفوضى وتحقيق السلام والعدل... لكن بعيدا عن ما يسمى بصدام الهمجيات، كما تفعله اليوم إسرائيل ومن ورائها أمريكا...

سابعا ـ إعادة النظر جذريا في الأدبيات الإستشراقية والتبشيرية الرامية إلى الهيمنة والتبعية والإختراق. مع تشجيع الدراسات الإستشراقية النزيهة، والدعوة إلى التفكير في إنشاء علم التغريب لدراسة الآخر، حتى يقع التفاهم والتعاون والتعاضد وفهم الآخر جيدا...

ثامنا ـ إيجاد خطة محكمة لتجسيد التوصيات الهادفة لتفعيل الحوار الحضاري، سواء التي تقام في ديار الشرق، أم في الغرب. وفي هذا الإطار فإني أؤكد على أهمية المؤتمرات العلمية النزيهة للحوار، مع إعطاء أهمية لإعلان طهران في القمة الإسلامية الثامنة (9 ـ 11/ 11/ 1997)، خاصة فيما يتعلق بالحوار بين الحضارات والديانات والثقافات، دون أن ننسى توصيات مجمع الفقه الإسلامي في مؤتمره الرابع عشر، والملتقى الدولي حول التفاهم بين المذاهب الإسلامية، والملتقيات القومية الإسلامية...

هذا فيما يخص تحديد الأهداف العامة للحوار، فماذا عن وضع السياسات الأساسية لتحقيقه ميدانيا ؟

2) ـ وضع السياسات الأساسية لتحقيق الحوار:

كل خطة إستراتيجية بعيدة المدى لها أهداف وسياسات، حيث تتمثل هذه الأخيرة في مجموعة من الوسائل مرتبطة بالبرامج والإجراءات والمعايير. وقد تكون هذه الوسائل في شكل وسائل مادية ـ مالية، أو في شكل وسائل بشرية ـ تنظيمية، لتحقيق الهدف المحدد مسبقا في الخطة العامة. ونفس الشيء بالنسبة لخطة الحوار الذي يجب أن يخضع لمشروع حضاري محدد ودقيق. ولذا عادة ما نطرح السؤال الهام بشأن خطة الحوار، كيف

يتم تجسيد أهداف الحوار ميدانيا ؟ وما هي الخطة الناجعة والفعالة للحوار ذاته ؟

ليس المجال هنا لنبين أهمية مواضيع التخصصات في علوم إدارة الموارد البشرية وصنع السياسات العامة وتحليلها، ودراسة السياسات المقارنة، ولكن فقط لنشير بأن الحوار لا يتم بدون تحديد وسائله وسياساته، وإلا أصبح فكر طوباوي غير قابل للتطبيق...

فهناك من الباحثين المجتهدين من نظر إلى وسائل الحوار فيما يلي:

1/ ـ بناء النماذج العلمية والعملية، مقالا ومثالا، حتى نعطي القدوة الحسنة .

2/ ـ أساليب الخطاب ومنابره: كالمؤتمرات، والندوات، والكتب، والصحف والمجلات، وتبادل الزيارات، والإذاعة، والتلفاز.

3/ ـ تعبئة شعاب الإتصال كافة لإدارة مسالك لحوار شامل وراء أغراض التجارة والسياسة والرياضة والفن والتبادل العلمي والثقافي والإقتصادي.

4/ ـ إنشاء مراكز إسلامية ومساجد لنشر العقيدة والثقافة الإسلامية في الغرب.

5/ ـ تنسيق المبادرات لتعديد الاتصال والنشر والحضور المستمر في الإعلام الغربي وتنظيم معارض ومهرجانات ودورات لتعليم اللغة العربية تساهم في إنتشار الإيمان وثقافة الإسلام[114] ولنحذر من الإمبراطوريات

الإعلامية المدمرة في العالم، كإمبراطورية " روبير دردوخ " الإعلامية التي تفوق ـ كما وكيفا ـ كل وسائل الإعلام في العالم العربي الإسلامي... ! !

وهكذا أصبحت الدول القوية تولي أهمية إلى المدارس والجامعات والمراكز العلمية والثقافية ومختلف وسائل الإعلام والإتصال، لأنها ببساطة هي التي تخلق الحركات الفكرية وتوجه العالم بطريقة أو بأخرى... إنها القوة الثالثة التي تملك القوة المعرفية ... وتسمى في علم المستقبليات بالسلطة المعرفية " أي المعرفتاريا "...

والسؤال المطروح هنا: هل نملك نحن مؤسسات علمية وإعلامية وثقافية في مستوى تحديات عولمة الفساد والإستبداد ؟ وماذا عن واقع مؤسساتنا المذكورة آنفا ؟ وهل هي مؤسسات حوارية ومبدعة، أم هي تابعة لهذا أو ذاك ؟ وماذا عن هجرة أدمغتنا التي أصبحت مجرد سلع تقيأتها عولمة الفهم والتخمة والشبق الجنوني... ؟؟

لنبدأ أولا بالجامعة بإعتبارها مصنع لخلق الإطارات الكفأ في شتى ميادين العلم والمعرفة... تقول الإحصائيات أن عدد الجامعات العربية دون الجامعات الإسلامية كان عددها 12 جامعة في عام 1950، وكانت تضم ثلاث جامعات خاصة وأجنبية: الجامعة الأمريكية في بيروت، وجامعة ماريوسف اليوسوعية في بيروت أيضا، والجامعة الأمريكية في القاهرة، وإرتفع هذا إلى 82 جامعة بحلول عام 1985. وأنشيء أكثر من 40 جامعة بين عامين 1970 و1985 ... وواصل عدد الجامعات في الإرتفاع فأصبح العدد عام 1985 : 175 جامعة (وحاليا في عام 2003: يتجاوز العدد أكثر

الإعلامية المدمرة في العالم، كإمبراطورية " روبير دردوخ " الإعلامية التي تفوق ـ كما وكيفا ـ كل وسائل الإعلام في العالم العربي الإسلامي... ! !

وهكذا أصبحت الدول القوية تولي أهمية إلى المدارس والجامعات والمراكز العلمية والثقافية ومختلف وسائل الإعلام والإتصال، لأنها ببساطة هي التي تخلق الحركات الفكرية وتوجه العالم بطريقة أو بأخرى... إنها القوة الثالثة التي تملك القوة المعرفية ... وتسمى في علم المستقبليات بالسلطة المعرفية " أي المعرفتاريا "...

والسؤال المطروح هنا: هل نملك نحن مؤسسات علمية وإعلامية وثقافية في مستوى تحديات عولمة الفساد والإستبداد ؟ وماذا عن واقع مؤسساتنا المذكورة آنفا ؟ وهل هي مؤسسات حوارية ومبدعة، أم هي تابعة لهذا أو ذاك ؟ وماذا عن هجرة أدمغتنا التي أصبحت مجرد سلع تتقيأتها عولمة الفهم والتخمة والشبق الجنوني... ؟؟

لنبدأ أولا بالجامعة بإعتبارها مصنع لخلق الإطارات الكفأ في شتى ميادين العلم والمعرفة... تقول الإحصائيات أن عدد الجامعات العربية دون الجامعات الإسلامية كان عددها 12 جامعة في عام 1950، وكانت تضم ثلاث جامعات خاصة وأجنبية: الجامعة الأمريكية في بيروت، وجامعة ماريوسف اليوسوعية في بيروت أيضا، والجامعة الأمريكية في القاهرة، وإرتفع هذا إلى 82 جامعة بحلول عام 1985. وأنشيء أكثر من 40 جامعة بين عامين 1970 و1985 ... وواصل عدد الجامعات في الإرتفاع فأصبح العدد عام 1985 : 175 جامعة (وحاليا في عام 2003: يتجاوز العدد أكثر

«... إن إدارات الجامعات ومؤسسات التربية في البلاد العربية، هذه الأخيرة فشلت في القيام بدورها كونها تفتقد لفلسفة عربية ». (116)

أجل، لقد فشلت فشلا ذريعا لا لأنها لا تملك فلسفة عربية فحسب، بل ولأنها لا تملك رؤية حضارية عربية إسلامية ... وهذا ما جعلها تهتم بالجانب الكمي المحدود دون الغوص في عمق إصلاح المنظومة التربوية والتعليمية...

وها هو أستاذ اللسانيات في الجامعة الجزائرية ورئيس المجمع اللغوي بالجزائر ومدير مركز البحوث في اللغة العربية الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح - يصرح للصحافة الوطنية في نفس وقت تصريح زميله السابق - قائلا : «... أنا كنت أنادي (مثلا) بإصلاح جذري للجامعة، لأني أرى أن الجامعة مستواها، ومنذ سنوات، ضعيفة جدا... »(117).

هذا التصريح الصحفي الهام والخطير في آن واحد، والذي أتفق معه إلى حد بعيد بحكم التجربة الميدانية المتواضعة، قد إنتبه إليه الفيلسوف " مالك بن نبي " لما قدم إستقالته الرسمية من مديرية التعليم ورئاسة جامعة الجزائر عام 1967. ونفس الشيء أكده أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة الأستاذ الدكتور " حامد ربيع " ... والقائمة طويلة، والصورة قائمة ... ولا حياة لمن تنادي...

إذا، كيف يمكن إجراء حوار حضاري حر في هذه الأجواء القاتمة ؟ وكيف يمكن أن ننافس الجامعات الحضارية التي توجه العالم (وأقصد الجامعات الأمريكية/ والبابوية/ والعبرية) ؟ ومن المفارقات العجيبة في

الجزائر مثلا، ففي الوقت الذي نلاحظ فيه هجرة الكفاءات بشكل مخيف، يطالعنا رئيس دولة فرنسا أن أكثر من ألف خبير وجامعي وباحث فرنسي قدموا في مهمات إلى الجزائر خلال العام الماضي(118)... وأية مهمات هذه...؟ ! ناهيك عن تكوين النخب ما وراء البحر لتأدية مهمات محددة ... ولنا العبرة في الملتقيات الدولية التي نظمت هنا وهناك... أما ما يجري داخل جامعاتنا فلقد تناولته في مقال مطول بجريدة الخبر تحت عنوان : " الجامعة الجزائرية إلى أين ؟ " بقلم " محمد الجزائري " ... إلى جانب مقالاتي في مجلة العلوم السياسية والعلاقات الدولية، وغيرها... وكلها تؤكد ما ذهب إليه هؤلاء الأساتذة الكبار...

وما يصدق على الجامعة والبحث العلمي يصدق إلى حد بعيد على مختلف الهيئات الأخرى: فأين هي مجالسنا، ومجامعنا، ومراكزنا، وجمعياتنا، ولجاننا، أمام ما تقوم به المراكز الثقافية، والملحقات الثقافية، والجمعيات الدينية والخيرية، والثانوية الدولية، واللجان العلمية الجامعية، وغيرها ... ؟؟

فإلى غاية اللحظة لازلنا لم نفصل بعد في ملف المنظومة التربوية، ولا زلنا نشكك حتى في مقوماتنا الحضارية والثقافية... !! لأن آل الزيغ والتضليل والتغريب أرادوها منظومة متغربة ومعولمة ... ولكن، لن يكون ذلك ما دام هناك رجال عاهدوا الله بأن يبقوا أوفياء للخط العربي الإسلامي...

أما بشأن السياسة الثقافية والإعلامية فحدث ولا حرج... فها هي وزارة الإتصال والثقافة أصبت تخدم الغير، أكثر ما تخدم ثقافة هذا الشعب

العربي المسلم الأمازيغي، الذي يعاني الفقر والجهل والقمع والتبعية... ومن يرى غير ذلك فلينظر ما يجري الآن في فرنسا والجزائر تحت شعار مضلل " السنة الجزائرية في فرنسا "...

وإذا كان المقام لا يسمح لنا بالتطرق إلى جميع حيثيات ملف المنظومة الإعلامية والأخلاقيات الإعلامية والثقافية، فإن أؤكد بأن هناك تلاعبا بالعقول وبالأرواح من خلال وسائل الإعلام الغربية والتغريبية في آن واحد. وبالتالي لا يمكن أن تكون الأداة الإعلامية في خدمة الحوار التنويري الحي، بالإضافة إلى التضييق على بعض وسائل الإعلام المستقلة، رغم محدوديتها كما وكيفا...

أما بشأن الأخلاقيات الإعلامية، يقول الدكتور قاسم صفا : « أما " الأخلاقيات الإعلامية " فإنها مع غياب العقائد الإلهية الحافظة لها - في ظل التشريعات والقوانين - تحولت في الحضارة الغربية، وفي الحضارة الصناعية إلى " أخلاقيات إستهلاكية " تخضع لقوانين مجتمع السوق ومنه تنتج أخبارها التي تحولت إلى سلع تباع وتشترى. ولذا فإن أسطورة الحياد والموضوعية... تحولت في وسائل الإتصال إلى " أخلاقيات تجارية " يغيب معها الحق أو يظهر فيها إلى جانبه »[119].

والسؤال المطروح في مجال الحوار، أين هذه الأخلاقيات الإعلامية من الرؤى العقائد التوحيدية والأخلاقيات السياسية، التي تقوم على قيم الصدق، وقول الحق، ونبذ الباطل ؟ وأين دور وسائل الإعلام والصحافة والاتصال في تحقيق الحوار الحي وتبادل المعلومات بعيدا عن التلاعب بالعقول وإستمالتها وتعلبيها، كما يذهب إليه أستاذ الإتصال الأمريكي الدكتور هيربرت شيلر ؟ وهل الإعلام الدولي والمحلي في خدمة ثقافة السلم

والعدل والدفاع عن حقوق وكرامة الإنسان، أم هو في خدمة الثقافة المعولمة والمدمرة للإنسانية جمعاء ؟...

وإذا كان الهدف من هذه السياسات الإعلامية الدولية ـ بما فيها المحلية ـ هو التجهيل وفرض الرأي الأحادي، ولو بالقوة... فهذا لن يؤدي إلى الحوار بين الحضارات والثقافات، لأنه ببساطة يفتقد إلى عناصر الصدق والمصداقية والتحلي بالأخلاقيات العلمية والإعلامية معا...

وهنا يحضرني قول الشاعر العاملي حين وصف صحافة الفساد بقوله:

صحافة " الصحاف " في عصرنا • سياسة للحاكم المستطيل
وجود ما يرضي به لازم • فيها، وما يكرهه مستحيل
أليس ذا عذر جميلا لمن • فر عن «الصحاف*» ألف ميل

(وكلمة الصحاف هنا لعلها تومىء إلى صحاف الطعام).

وعليه، فلا مفر من إستقلالية الصحافة من ناحية، وأن تكون لها رسالة تهذيبية ونقدية في المجتمع من ناحية ثانية. وهذا لن يتم في رأيي إلا من خلال تحديد المضمون الحضاري والأخلاقي والثقافي للمنظومة الإعلامية، كما قلنا سابقا لأن أسطورة الحياد والموضوعية لا مجال لها في الحوار الحضاري المسؤول والحي.

وفي نهاية المطاف، إننا نؤكد على الحوار المخطط له مسبقا، وبالتالي لا بد من تحديد الأهداف العامة للحوار، ووضع السياسات الأساسية لتحقيقه ميدانيا، أما بدون هذه الأهداف والسياسات فهو حوار تضليلي وتمييعي، وشتان بين الحوار التنويري الحي المبني على قدسية الكلمة وكلفة

السواء بيننا لمواجهة التحديات، وبين الحوار التمييعي الذي يكرس واقع *التيه والزيغ والتضليل*...

فهل إستفدنا من دروس التاريخ ... أم لازلنا نلدغ من الجحر المرات والمرات. ؟ !!.

ـ الخلاصة والإستنتاجات والتوصيات:

ها نحن نصل إلى نهاية المطاف في هذه الورقة العلمية المتواضعة لنؤكد بإلحاج وإصرار: *أن الإنسانية اليوم أمام مفترق الطرق*، إما أن تنهج نهج *النظام العولمي الصدامي الهمجي* للقضاء نهائيا على القيم الروحية والأخلاقية، *وبالتالي القضاء* على مستقبل *البشرية* جمعاء... وإما أن تختار عن وعي درب *النظام العالمي الحضاري الإنساني الذي يضمن لها السلام والأمان والعدل والسؤدد*... وهذا لا يتم إلا من خلال النضال المستميت لتحقيق الكونية الأخلاقية، القائمة على الدين والعلم.

إن الحوار بين الديانات والحضارات والثقافات لن يكون أولا إلا بتحديد المفاهيم والمصطلحات والقراءات الموضوعية للتاريخ البشري. لأن البعد المعرفي – التاريخي له مكانته الأساسية في تفعيل الحوار وإنجاحه لصالح الإنسانية جمعاء. وثانيا: فالحوار الجدي بين الأمم والشعوب لا يعني فقط عوامل التفاهم والإلتقاء والتفاعل، بل كذلك يشمل عوامل الإختلاف والتنافس، شرط أن تكون هذه الأخيرة بعيدة عن صدام الهمجيات وقتل الهويات وإختراق الثقافات...

وإذا كان الحوار الحضاري الحي هو ضرورة شرعية وعقلية وعملية وإنسانية *وإلزامية لإنسانية اليوم*، من أجل بناء عالم جديد قائم على أسس السلام والأمان والعدل وتقاسم الرخاء ونبذ الشر ومقاومة أشكال الإستبداد والإستعباد...

فهو كذلك في نفس الوقت يستلزم التسلح بسلاح الحكمة والعلم والنضال والدعوة إلى كلمة السواء بيننا لمقاومة ربوبية الطاغوت الإنساني والخضوع التام لله الواحد القهار...

وعلى ضوء ذلك، لقد حاولنا تشخيص الوضع المزري العالمي والمحلي - بدون لف ولا دوران - وتقديم البديل الحضاري لإنسانية اليوم التي هي على وشك الإحتضار والإخلاص التام... بحيث لا يمكن تحقيق السلام بدون حوار، ولا حوار بدون حوار الديانات، ومن ثم تفعيل حوار الحضارات والثقافات لخدمة الإنسانية قاطبة... وهنا أيضا يأتي دور الإسلام كدين سماوي عالمي مكمل للديانة الإبراهيمية لإنقاذ الإنسانية جمعاء من الإفلاس والتقهقر...

لا أزعم بأنني أحطت بجميع جوانب موضوع الحوار والإنسان، خاصة وان الإنسان تشكّل عليه فهم الإنسان، كما يقول فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة " أبو حيان التوحيدي "... ولكن، حاولت أن أنال أحد الأجرين من إجتهادي الخاص - سواء أصبت أم أخطأت - والمتمثل في الإنطلاق من قدسية الكلمة الطيبة، وكلمة السواء بيننا، وإحترام آداب فقه الحوار، وحكمة الجدال مع أهل الكتاب وحتى الملحدين... والتركيز على ثقافة السؤال، بعيدا على ثقافة الجواب الجاهز والمائع... وتقديم إقتراحات بناءة لشروط الحوار الحي والمثمر بين الديانات والحضارات والثقافات، بدون قيد أو شرط...

وفي الأخير: هل من الممكن الحلم بغد كله رخاء ووفاء وعطاء ؟ أجل، يمكن ذلك بشرط واحد أن نعود جميعا إلى مدينة الله، والتخلق بخلق الله،

والتسلح بسلاح الحكمة الحسنة والجدال الأحسن من ناحية، ومقاومة كوكبة الفساد والإستبداد والإستعباد من ناحية ثانية. وأن نفكر في إيجـاد مرجعيـة مركزية حضارية تجنبنا الجهـل المتبـادل بيننـا نحـن المسـلمين مـن ناحيـة ثالثة، كما يذهب إليه الشيخ " محمد محمدي العراقي " رئيس رابطةالثقافة والعلاقات الإسلامية بإيرانً[120]... مع الدعوة إلى الوحدة العربية الإسلامية من ناحية رابعة.

نسأل الله حسن الخاتمة ... وصيانة عقيدتنا من عقدنا ...

ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ـ

بقلم: العبد الضعيف إلى ربه منصور بن لرنب.

ثبت المراجع والمصادر العلمية :

(1) راجع في ذلك :

- أليكسي جوارفسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، الكويت: عالم المعرفة، 1471 هـ/ 1996م، ص 8.

-Hans Küng, Projekt Weltehos, Müncher, 1990, p. 171.

(2) – محمد حسين فضل الله، من أجل الإسلام، بيروت: دار التعارف، 1409 هـ/ 1989م، ص 446 ـ 447.

(3) – إسوالد إشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، جزئين، ترجمة أحمد الشيباني، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1964، 1528 صفحة.

(4) راجع في ذلك :

- محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الاسلام، ترجمة عباس محمود العقاد، القاهرة: نخبة التأليف والترجمة والنشر، 1955.

- عبد الوهاب عزام، محمد إقبال: سيرته، وفلسفته، وشعره..، الباكستان: مطبوعات الباكستان، 1954.

- دواوين محمد إقبال: أسرار معرفة الذات/ رسالة الشرق/ تحية الغرب/ هدية الحجاز/ جناح جبريل إلخ...

(5) – مؤرخ بريطاني على المستوى العالمي... له العديد من المؤلفات حول تاريخ الحضارات... كل كتبه مترجمة إلى اللغة العربية... ومن بينها " مختصر في دراسة التاريخ " / الحرب والمدنية/ الاسلام والغرب والمستقبل./ العام والغرب/ فلسطين جريمة ودفاع/ الوحدة العربية آتية من النيجر الى النيل... إلخ.

(6) – فيلسوف جزائر ي معاصر... له العديد من المؤلفات ـ كما سنرى لاحقا ـ تدور كلها حول مشكلات الحضارة ... من أبرزها " الظاهرة القرآنية "، " الصراع الفكري في البلاد المستعمرة"، "شروط النهضة، " المسلم في عالم الاقتصاد"... إلخ.

(7) – علم فرنسي... يعد من أكبر العلماء الفسيولوجين ... متحصل على جائزة نوبل عام 1912... وله مؤلف هام تحت عنوان: " L'homme, cet Inconnu"... " الإنسان ذلك المجهول ".

(8) – فيلسوف وعالم إجتماع معاصر ... يعد بحق معلم الثورة الإيرانية، إلى جانب الخميني الذي يعتبر روحها ... له العديد من المؤلفات تجاوزت 120 مؤلفا معظمها باللغة الفارسية والإنجليزية والفرنسية وأهمها " العودة إلى الذات " ترجمة الأستاذ شتا ابراهيم الدسوقي 1986...

9)- *Albert Jacquard, Les Scientifique parlent, Paris : Hachette, 1987, 325 pages.*

(10) – يعد من علماء الشيعة البارزين في العراق... لقد أغتيل مع أخته من طرف نظام العراق... له العديد من المؤلفات أهمها : خلافة الانسان وشهادة الأنبياء، مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن، فلسفتنا، اقتصادنا، الانسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية، مقالات اسلامية... الخ.

(11) – عالم نفساني أمريكي... له العديد من المؤلفات أهمها : الانسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، الكويت: عالم المعرفة، 1989.

(12) – مستشرقة ألمانية... أعتبرت بحق سفيرة الإسلام في الغرب... كتبت عن " دور الخليفة والقاضي في مصر الفاطمية والمملوكية "... لها العديد من المؤلفات والمقالات في مجلة " فكروفن" ... وكانت أستاذة الأدب والحضارة العربية الإسلامية... وقبل وفاتها نالت دكتواره فخرية من جمهورية إيران الإسلامية... إلى جانب العديد من الجوائز، علما بأنها نالت شهاداتها العليا قبل سن العشرين...

(13) عالم مصري يعد بحق من أبرز فقهاء الجغرافية وعلم البيئة ... له العديد من المؤلفات كلها تدور حول البيئة والجغرافية والتحرر والإسلام، منها: " إستراتيجية الاستعمار والتحرر "/ " العالم الاسلامي المعاصر "... " مختارات من شخصية مصر "... إلخ.

(14) – يعد من أبرز الكتاب الإيرانيين .. وهو أستاذ د. علي شريعتي ... له العديد من المؤلفات أهمها: الضربة القاضية، والتغريب، والمثقفون... إلخ.

(15) – هربرت تشيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، الكويت: عالم المعرفة، 1986. 271 صفحة.

(16) – فيلسوف فرنسي مسلم... له العديد من المؤلفات ... أبرزها حوار الحضارات ... وله مواقف ثابتة تجاه القضايا الإنسانية، وخاصة قضية فلسطين التي دافع عنها بقوة...

(17) – عالم فرنسي... يعد من أكبر المتصوفين الإسلاميين المعاصرين... ومن أبرز كتبه الهامة:

- *René Guénon, La crise du monde Moderne, Alger Bouchene, 141 pages.*
- *René Guénon, Orient et Occident, Paris, 1924.*
- *René Guénon, Le Roi du Monde, Paris, 1927.*

- عبد الحليم محمود، الفيلسوف المسلم، رينيه جينو أو عبد الواحد يحي، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ب، ت، 118 صفحة.

(18) – يعد من أشهر العلماء في اللغة واللسانيات... وهو منظر أمركي - يهودي بارز ... له العديد من المؤلفات أبرزها: " قراصنة وأباطرة، الارهاب الدولي في العالم الحقيقي "... " النظام العالمي الجديد "...

(19) – رجاء عارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، ط2، بيروت - بارس: منشورات عوديات، 1982، ص 244.

(20) – مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، ط1، الجزائر - سوريا: دار الفكر، 1408هـ/ 1988م، ص 73.

(21) – علي شريعتي، الإنسان، الإسلام ومدارس الغرب، ترجمة عباس ترجمان، ط1، طهران: دار الصحف للنشر، 1311 ه!، ص 109.

(22) – نفس المرجع ، ص 108.

(23) – علي شريعيتي، الإنسان، الإسلام ومدارس الغرب، المرجع السابق الذكر، ص 109.

(24) – شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارت السابقة، ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 1415هـ - 1994م، 688 صفحة.

(25) – جورج سارتن، تاريخ العالم، عن شوقي أبو خليل، المرجع السابق الذكر، ص 113.

(26) – أرلوند توينبي، مختصر في دراسة التاريخ، عن شوقي أبو خليل، المرجع السابق الذكر، ص 20.

(27) – غوستوف لوبون، الحضارة العربية، عن: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5، الجزائر - سوريا: دارا الفكر، 1406 هـ - 1986م، ص 43.

(28) – كان سقوط الحكم العربي الإسلامي في إسبانيا عام 1492 م... وهذا بسبب حياة الترف والمجون وعدم تدبير أمور الدولة وفق ما كانت عليه في البداية...

(29) – زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط7، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1402 هـ / 1982م، 588 صفحة.

(30) – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المرجع السابق الذكر، ص 42.

(31) – زيغريد هونكه، المرجع السابق الذكر، ص 465.

(32) – نفس المرجع، ص 80، و88.

(33) – أليكسي جوارفسكي، المرجع السابق الذكر، ص 131 - 158.

(34) – نفس المرجع، ص 22 و131.

(35) – يعتبر القائد الروحي للثورة الإيرانية الإسلامية... له العديد من المؤلفات ك: تحرير الوسيلة، والحكومة الإسلامية، وولاية الفقيه، والوصية السياسية الالهية (صحيفة الثورة الإسلامية) الخ... وهو متأثر بعلماء كبار أمثال: " محمد بن إدريس الحلي " (ت 598هـ / 1200م)، والشهيد " محمد بن مكي الجزيني" (قتل في786هـ/ 1384 م)، " وزير الدين بن علي الجباعي " (قتل في 965هـ / 1557م) "والمولى أحمد النراقي "

(توفي: 1245هـ/ 1829م)، وإيمام " الشيرازي"، وغيرهم... ورغم ما كتب حول الرجل، فلا يزال الكثير ما لم يكتب...، كما يقول صديقه العالم اللبناني " جعفر المهاجر "...

(36) – عالم شيعي لبناني... يعد الأب الروحي لحزب الله في لبنان ... له العديد من المؤلفات الهامة في الفكر الإسلامي، من بينها: أسلوب الدعوة في القرآن، والإسلام ومنطق القوة، وآفاق إسلامية ودور المرأة الرسالي، والحركة الإسلامية، ومن وحي القرآن... وغيرها.

(37) – محمد حسين فضل الله، من أجل الإسلام، المرجع السابق الذكر، ص 461 ـ 467.

(38) – الأستاذ الدكتور " محمد خاتمي " يعد من بين الرؤساء القلائل في العالم الذين يهتمون بالثقافة والفكر والحوار الحضاري... له العديد من المؤلفات أبرزها: "المشهد الثقافي في إيران... " المجتمع المدني، مقاربات في دور المرأة والشباب"، " من عالم المدينة إلى مدينة العالم"... ولقد حاور الأمريكان من خلال قناتهم *CNN* في يناير 1988، وكذلك حاور الغرب في عام 1999... وأفحمهم بالحجة والحكمة والجدال الحسن...

(39) – محمد نور الدين، " منتدى إسطنبول" للحوار الأوربي الإسلامي"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 106، ربيع 2002، ص 207 ـ 213.

(40) – في هذا الإطار أكد الكثير من العلماء المشاركين ـ أمثال الشيخ " آية الله محمد علي التسخيري " والدكاتر " محمد فتحي عثمان " و" وهبة الزحيلي"، "وعبد الرزاق قسوم" و" علي الشابي"، وغيرهم... ـ على الدعوة إلى تفعيل الإجتهاد الإسلامي والدعوة إلى الوحدة، وتغريب المذاهب الخ... أما بشأن مؤتمر الدوحة فقدم 577 بحثا في مختلف الميادين (إرجع إلى السفير، الجزائر 17- 23/ 11/ 1423 هـ ـ 20 – 26/ 1/ 2003. والبصائر. العدد 127. 17 ـ 24/ 11/ 1423 هـ)

(41) – محمد نور الدين وآخرون، " حوار مع المطران جورج خضر حول: حوار الحضارات والأديان"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 104، خريف 2001، ص 139.

(42) – ابن منظو، لسان العرب، بيروت: دراسات لسان العرب، ب.ت، ص 750.

(43) الشيخ علي خازم، " الإمام علي (ر) وعلم الكلام"، مجلة المنطلق، بيروت، العدد 75 و76، شعبان/ رمضان 1411 هـ ـ شباط / آذار 1991، ص 193.

(44) – نفس المرجع، ص 193.

(45) – عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1967، ص 821 و838.

(46) – الشيخ علي خازم، المرجع السابق الذكر، ص 193.

(47) – عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق الذكر، ص 812.

(48) – نفس المرجع، ص 812.

(49) – سموحي فوق العادة، معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية، انكليزي ـ فرنسي ـ عربي، بيروت: مطبعة لبنان، ب. ت.، ص 163.

(50) – رجاء غارودي، المرجع السابق الذكر، ص 283 ـ 294.

(51) – أليكس جوارفسكي، المرجع السابق الذكر، ص 8.

(52) – محمد خاتمي، " حوار الحضارات والثقافات "، مجلة شؤون الوسط، بيروت، العدد 89، تشرين الثاني/ نوفمبر 1999، ص 54 و60.

(53) – محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، عن: أحمد محمد ابراهيم، قائمة مطبوعات نهض مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ب. ت، ص ؟

(54) – فاضل رسول، هكذا تكلم علي شريعتي، ط3، بيوت: دار الكلمة للنشر، 1987، ص 35.

(55) – حسن اسماعيل عبيد، " سوسيولوجيا الأديان: مدخل نظري حول الحوار"، مجلة شؤون الوسط، بيروت، العدد 35، تشرين الثاني/ نوفمبر 1994، ص 11.

(56) – أليكسي جوارفسكي، المرجع السابق الذكر، ص 124.

(57)- Dictionnaire Encyclohédique 2000, Larousse, 1999, p 1339.

(58) – سعيد إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978، ص 217.

(59) – حسن جابر، " نظرة في مسار المخططين الإسلامي والغربي للحضارة والتاريخ، مجلة المنطلق، بيروت، العدد 62، جمادى الثاني 1410هـ/ كانون الثاني 1990م، ص 28.

(60) – رزيق قسطنطين، في معركة الحضارة، دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها في الواقع الحضاري، بيروت: ؟، 1964، ص 41.

(61) – ألبرت إشفيستر، فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الندلس، 1983، ص 34.

(62) – عطية سليمان عودة أبو عاذرة، مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الاسلامي الحديث عند كل من الامام محمد عبده ومحمد إقبال، دراسة مقارنة، ط1، بيروت: دار الحداثة، 1985، ص 231.

(63) – نفس المرجع، ص 232.

(64) – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي ـ عبد الصبور شاهين، بيروت :؟، 1969، ص 239.

(65) – مالك بن نبي، فكرة كمنويات إسلامي، ط2، ترجمة الطيب الشريف، الجزائر ـ سوريا: دارا الفكر، 1410هـ/ 1990م، ص 53.

(66) – أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، عن: حسن جابر، " نظرة في مسار المخططين الإسلامي والغربي للحضارة والتاريخ "، المرجع السابق الذكر، ص 47.

(67) – علي شريعتي، العودة إلى الذات، ترجمة شتا الدستوي ابراهيم، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1986، ص 60 ـ 61.

(68) – حسن جابر، نظرة في مسار المخططين الإسلامي والغربي للحضارة والتاريخ، المرجع السابق الذكر، ص 30.

(69) – يقول الباحث " كوبر وكلوكهون "، في عام 1952...، أن هناك 164 تعريفا للثقافة، ابتداء من كونهاكسلوك متعلم، إلى كونها كأفكار في العقل... (إرجع إلى: – نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، فرجينيا: الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994، ص 22).

(70) – مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق الذكر، ص 123.

(71) – مايثو أرنولد، الثقافة والفوضى، عن: حسين مؤنس، الحضارة، الكويت: عالم المعرفة، 1978، ص 370.

(72) – إداورد تايلور، الثقافة البدائية، عن: ثمبسون ميكائيل وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، الكويت: عالم المعرفة، 1418 هـ/ 1997م، ص 9.

(73) – روبرت بيرستد، النظام الاجتماعي، عن: ثمبسون ميكائيل وآخران، نفس المرجع، ص 10 ـ 11.

(74) – ميكائيل ثمبسون وآخرون، المرجع السابق الذكر، ص 11.

(75) – وجيه كوثراني، " صدام الحضارات " أم " إدارة الأزمات " ؟، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 30، حزيران/ يونيو 1994، ص 64 ـ 65. (للتذكير فكتابه مترجم إلى اللغة العربية)...

(76) – نفس المرجع، ص 66 ـ 83.

(77) – هانز كونغ، أخلاق جديدة للعالم، ص 101، عن: فريتزسيتبات، " رد ألماني على هانتغتون: المنظومة الإبراهيمية للحوار "، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 39، آذار/ مارس 1995، ص 81.

(78) – إرجع إلى الكتاب الهام:

ـ محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ط12، السعودية: دار الرسالة، ؟.

(79) – حسن عبد الله الترابي، " أطروحات الحركات الاسلامية في مجال الحوار مع الغرب"، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 36، كانون الأول/ ديسمبر 1994، ص 84.

(80) – محمد حسين فضل الله، الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، ط1، بيروت: دار الملاك، 1990م، 1411 هـ، ص 114 ـ 119.

(81) – كما يذهب إليه رئيس المجلس الأعلى للغة العربية: ـ د. محمد العربي ولد خليفة، " بيرك المفكر الإنسان من فرندة إلى سان جوليان "، مجلة الثقافة، الجزائر، العددان 110 ـ 11، سبتمبر ـ ديسمبر 1995، ص 35 ـ 49... !!

(82) – أليكسي جورافسكي، المرجع السابق الذكر، ص 126. (في هامش المترجم).

(83) – إبن كثير، تفسير ابن كثير، ج4، بيروت: دار الأندلس، 1983، ص 226 ـ 227.

(84) – إرجع إلى كتابه الهام:

- *Maurice Bucaille, la Bible le coran et la science, SEGHERS : Paris, 1976, 259 pages.*

– موريس بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، ط3، بيروت ـ دمشق: المكتب الاسلامي، 1411هـ/ 1990م، 296 صفحة.

(85) – أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه...، ط2، دمشق: درا الفكر، 1402 هـ/ 1982م، ص 527.

(86) – عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، ص 112.

(87) – شوقي أبو خليل، المرجع السابق الأنف الذكر، ص 445.

(88) – زيغريد هونكه، المرجع السابق الذكر، ص 378 ـ 379.

(89) – عمارة محمد، معركة الإسلام وأصول الحكم، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1410هـ/ 1989م، ص 275.

(90) – شوقي أبو خليل، المرجع السابق الذكر، ص 444.

(91) – نفس المرجع، ص 446 ـ 447.

(92) – محمد سلام مدكور، معالم الدولة الإسلامية، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1403هـ/ 1983م، ص 453.

(93) – أنطوان زحلان، العرب وتحديات العلم والثقافة تقدم من دون تغيير، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 199، ص 244.

(94) – عبد المالك مرتاض، " الكلمة الإفتتاحية لأعمال الندوة الدولية حول: مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية "، بتاريخ 10 ـ 12 شعبان 1421 هـ/ الموافق 6 ـ 8/ 11/ 2000م. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 18.

(95) – زكا نجيب، " رحلة اللغة والثقافة العربية إلى فرنسا تعليمها في المعاهد العليا والجامعات"، ندوة دولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المرجع السابق الذكر، ص 462 ـ 463.

(96) – أنور الرفاعي، المرجع السابق الذكر، ص 218.

(97) – زينب إبراهيم، " ثقافة التوحيد والمجتمعات المتعربة، مجلة المنطلق، بيروت، العدد 61، جمادى الأول 1410 هـ/ كانون الأول 1989م، ص 66 ـ 67.

(98) – مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، ط2، الجزائر ـ دمشق: دار الفكر، 1408هـ/ 1988م، ص 89.

(99) – شؤون الوسط، العدد 106، المرجع السابق الذكر، ص 211.

(100) – مفكر مصري له العديد من المؤلفات في مجالات الفكر الإسلامي والعربي والمسيحي واليهودي... أبرزها: أصول الفقه لأبي الحسن البصري، ومقدمة في علم الاستغراب، وما العولمة؟ والحوار الديني والثورة، ومناهج التأويل... الخ.

(101) – راجع خطابا عبد العزيز بوتفليقة، وجاك شيراك بتاريخ 1 محرم 1424هـ/ 3 مارس 2003م، جريدة الشعب، بتاريخ 4/3/ 2003م، ص 6 و8.

(102) – محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ب. ت.، ؟

(103) – إدوارد سعيد، المرجع السابق الذكر، ص 287.

(104) – مالك بن نبي، أعمال المستشرقين، عن: عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، ط1، باتنة: دار الشهاب، 1404هـ ـ 1984، ص 65 ـ 66.

(105) – ابو الحسن علي الحسيني الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الاسلامية، ط4 و5، بيروت ـ الجزائر: مؤسسة الإسراء، 1402هـ/ 1982م، ص 40.

(106) – محمد حسين فضل الله، من أجل الإسلام، المرجع السابق الذكر، ص 454.

(107) – أديب وسياسي ومترجم... أصله فارسي... (مولده: 106هـ/ 724م. وفاته: 142هـ/ 760م).. ومن أشهر مؤلفاته: رسالة الصحابة، والأدب الصغير، والأدب الكبير، وكليلة ودمنة، التاج، الدرة اليتيمة والجوهرة الثمينة إلخ... وبالرغم من إغتياله في سن العطاء، إلا أنه ترك روائع في الأدب العالمي... إنه عبد الله بن المقفع...

(108) – محمد نور الدين، حوار مع الدكتور طيب تزيني، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 103، صيف 2001، ص 133.

(109) – زار الجزائر في بداية الثمانينات ... وفي شهر فبراير 2003م.

(110) – محمد نور الدين، " حوار مع الدكتور طيب تيزيني"، المرجع السابق الذكر، ص 136.

(111) – سمير أمين، " تحديات العولمة "، شؤون الأوسط، بيروت، العدد 71، أبريل 1997، ص 60.

(112) – إسماعيل نصار، " تقرير حول ندوة العرب وتحديات العولمة"، بيروت: م.د.و.ع ـ 18– 12/20 /1997، مجلة شؤون الأوسط، بيروت، العدد 71، أبريل 1998، ص 92 ـ 93.

(113) – نفس المرجع، ص 90 ـ 91.

(114) – حسن عبد الله الترابي، المرجع السابق الذكر، ص 93 ـ 94.

(115) – انطوان زحلان، المرجع السابق الذكر، ص 183 ـ 185.

(116) – سعيد محمد الحفار، " ملامح الخريج الجامعي الذي يحتاجه الوطن"، محاضرة نظمها المجلس الأعلى للغة العربية بمساهمة المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر (الأوراسي)، (راجع جريدة الأحرار، الجزائر، 5/2/ 2003م، ص 17).

(117) – محمد يعقوب، " حوار مع الدكتور عبد الرحمن حاج صالح"، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، في 4/12/ 1423 هـ ـ 5/ 2/ 2003م، ص 5.

(118) – جاك شيراك، خطاب رسمي أمام البرلمان الجزائري، جريدة الشعب، الجزائر، المرجع السابق الذكر، ص 8.

(119) – قاسم صفا، " تأملات نقدية في " الأخلاقيات الإعلامية"، مجلة المنطلق، بيروت، العدد 66 و67، شوال، ذو القعدة 1410هـ/ أيار– حزيران 1990م، ص 174.

(120) – كلثوم قارة، " حوار مع الشيخ الفاضل محمد حمدي العراقي "، أسبوعية الجزيرة، الجزائر، العدد 21، المؤرخة في 25 رمضان إلى 2 شوال 1423هـ/ 30 نوفمبر، ديسمبر 2002م، ص 12 ـ 13.